

نشرة إلكترونية فصلية تصدر عن الندوة الثقافية المركزية

في هذا العدد

- ✓ [كلمة عمدة الثقافة والفنون الجميلة](#)
- ✓ [العقيدة الصحيحة والمؤسسات الجديدة](#)
- ✓ [السياسة والثقافة و"البوصلة المجنونة!"](#)
- ✓ [محاضرات الندوة الثقافية المركزية](#)
- ✓ [الترسيم وسلاح النفط](#)
- ✓ [نشاطات عمدة الثقافة والفنون الجميلة](#)
- ✓ [تسعون التأسيس من معادلة الوحدة إلى معادلة الاتحاد والمقاومة](#)
- ✓ [الملف الخاص في ذكرى استشهاد الأمينين بشير عبيد وكمال خير بك](#)
- ✓ [هل لـ"إسرائيل" الحق في الوجود؟](#)
- ✓ [لواء الإسكندرون لا "إقليم هاتاي"](#)
- ✓ [مراثي المدن السورية وضعت أساس فن شعري مستمر](#)
- ✓ [قراءة كتاب: الصراع الفكري في الأدب السوري](#)



التأسيس...

كان تأسيس الحزب السوري القوميّ ضرباً قاضيةً على البلبلة الفكرية الروحية، وبدء اتجاه الأمة نحو قضيتها التي هي قضيتها حياتها ومصيرها ومطالبها العليا. فالقضية السوريّة القوميّة وضعت حداً للفوضى السياسيّة والاجتماعيّة فلم تعدّ الحركه القوميّة مجرد انتفاض على الإرادات الأجنبية والسيطرة الأجنبية أو حركة جماعة مسيحية أو جماعة إسلامية، بل حركة أمة أدركت وحدة مصالحها وحقيقتها حياتها فأرادت هذه الحقيقة وعملت لهذه الحقيقة. هذا هو عمل الحزب السوري القوميّ.

بهذه الحقيقة أردت معالجة الحالة الفكرية السياسية المضطربة الحائرة بين إبهام "القضية العربيّة" والاختلالات المشتتة عليها، وعمارة "القضية اللبنانية" والاشتراكات الداجلة فيها. وبهذه الحقيقة انتصرت على اليأس وظلمة الفكر وتشوش الشعور.

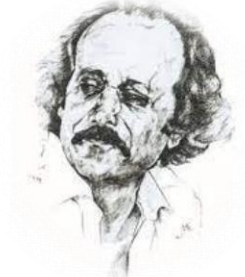
ما أعظم الفرق بين الأمة بعد إعلان هذه الحقيقة والأمة قبل إعلانها. ففي هذه الحقيقة نرى حقيقتنا نحن - وجودنا ومصالحنا، شخصيتنا وإرادتنا ومطالبنا العليا. في هذه الحقيقة ندرك قوتنا ومؤهلاتنا ومقدرتنا، وعلى هذه الحقيقة نسير خططنا لإفلاح أمتنا. على ضوء هذه الحقيقة أصبحنا نرى جيّداً مقاصدنا وطريقنا.

- سعاده، خطاب 1 مارس 1938 -

ملف خاص

في الذكرى الثانية والأربعين لاستشهاد

الأمينين كمال خير بك وبشير عبيد



التحصن بالثقافة

بقلم عميدة الثقافة والفنون الجميلة

الدكتورة فاتن المر



بمواقفهم المساندة لكيان العدو الغاصب، وقد قام بعض الكتاب والناشطين بالإشارة إلى موضع الشبهة في نشاط كهذا، وكان لوزير الثقافة موقف مشرف في رفض كل ما يمت إلى التطبيع بصلة. لكن... من سوء الحظ، لم يكن المسؤولون -عن قصد أو عن قلة اهتمام- دائماً متنبهين لخطورة التسلل الثقافي عبر الأنشطة المختلفة، منها، على سبيل المثال لا الحصر، فعاليات جائزة الغونكور خيار الشرق، حيث كان يوزع، على الجامعات اللبنانية، عدد من الروايات، بعضها منحاز بشكل فاضح للكيان الغاصب، وهذا على مدى سنوات... ما الحل؟ منع مثل هذه الكتب؟ ولكن ما الذي يمنع شبابنا من قراءتها عبر الوسائل التي تتيح لكل مستخدم للشبكة العنكبوتية الوصول إلى كل كتب العالم؟ الحل مجدداً يكمن في التحصين الثقافي وبث الوعي وإيضاح المفاهيم الأكبر عدد من أبناء شعبنا، وبشكل خاص الشباب الذين تنصبّ حول عقولهم اليافعة الخطط التي تضعها الدول المعادية التي تسعى لأن تتسيهم هويتهم ومصالح وطنهم وتحويل أنظارهم نحو شؤون بعيدة كل البعد عنها .

التحصين الثقافي، هذه المهمة الأساسية التي وُجد حزبنا لأجلها. من أجل هذا ارتأت إدارة الندوة الثقافية المركزية أن تعمل على خطين: واحد يعنى بالشؤون العقائدية فيتعلم في دراستها، ويبحث في المواضيع التي تدور حولها نقاشات واختلاف في الآراء، وآخر يفتح الندوة عبر وسائل التواصل أمام القوميين المهتمين بالإضافة إلى بعض المواطنين تيمناً بالجواب الإيجابي الذي أعطاه حضرة الزعيم حين طلب بعض المواطنين حضور الندوة الثقافية المركزية، أو ما عرف فيما بعد بالمحاضرات العشر. قليل من الكثير الذي يترتب على كل سوري قومي اجتماعي أن يهتم به، ولكنه أول الغيث، عسى أن يتنبه القوميون قبل غيرهم إلى خطورة الحرب الثقافية التي تشن علينا وضرورة العمل على مختلف المستويات لمواجهتها.

في خضم الأزمات العديدة التي نعاني منها في يومياتنا، بالإضافة إلى تلك التي تشكل تهديداً لوجودنا، تعترضنا، يوماً بعد يوم، محاولات حثيثة ومدروسة لكي تشنت انتابها عن قضيتنا وعن المسائل الأساسية التي تهدد أمتنا وتحرف تفكيرنا عن مصالح وطننا الكبرى. فغالباً ما نواجه، حين نهتم بالشأن الثقافي، بعبارات استفزازية تستنكر انشغالنا عن سبل تأمين مقومات الحياة اليومية وعن البحث اليومي عن حلول لمعاننا المالية والاقتصادية .

إن هذا لا يمنع ذلك، بل على العكس، فالعمل الثقافي هو الإطار الأوسع الذي يجب أن ترتب من ضمنه كل المسائل والمشاكل والهجوم التي تعترضنا، يطرح الأسئلة المناسبة، يعود إلى الأسس الفكرية التي وضعها حضرة الزعيم، بالإضافة إلى غيره من المفكرين، يستمزج الآراء، يرتب الأجزاء ليحصل على الصورة الكبرى، ثم يبحث عن الحلول الناجعة. لقد أراد أعداء الأمة لنا أن نغرق وسط المشاكل لكي ننسى الأسباب الأولى، تلك التي جعلتهم يرسمون خططهم، ويختلقون الأزمات الصغيرة والكبيرة ليمنعوا بوساطتها كل نظرة شاملة تعبر الحدود التي يحاولون أن يحاصرونا فيها .

لكن هذه الأوضاع الاستثنائية لا تمنع حزبنا من التنبه إلى المخاطر الكبرى التي تهدد تفكيرنا قبل أن تهدد مآكلنا ومشربنا وشؤوننا الحياتية، فقد أراد حضرة الزعيم لحزبه أن يشكل حصناً ثقافياً منيعاً يحارب فيه القوميون الاجتماعيون بالوعي كما بالسلاح.

والمعركة اليوم ثقافية قبل أن تكون حربية أو اقتصادية، وعلينا أن نفكر في سبل المواجهة بالثقافة الصحيحة.

واحد من الأمثلة التي نتبادر إلى ذهني ما حصل مؤخراً في بيروت خلال معرض الكتاب الفرنكوفوني ودعوة ثلاثة كتاب معروفين



العقيدة الصحيحة والمؤسسات الجديدة

بقلم رئيس الندوة الثقافية المركزية
الأمين الدكتور إدمن ملحم



وجعلها لتعود إلى حيويتها وقوتها. وهدفه كان إقامة نظام جديد يؤمن مصالح الأمة ووسائل تقدمها ويجعل حياتها أرقى وأفضل وأجمل فيسمو إنساننا خلقاً وعتاءً وإبداعاً ويعود نبوغنا السوري "إلى عمله في إصلاح المجتمع الإنساني وترقيته".²

قبل سعاده وبعده، نشأت أحزاب وحركات سياسية بألوان متنوعة تخرّج منها سياسيون وزعماء تقليديون بعضهم تولى مناصب سياسية مرموقة وبعضهم الآخر تسلّم زمام الحكم في البلاد وكانوا جميعهم أسخياء في إطلاق الوعود والشعارات البراقة. ولكن يبقى السؤال: ماذا أنتج هؤلاء السياسيون على مرّ السنين؟ هل تحققت طموحات الشعب على أيديهم؟

إزالة أسباب الويل مقابل غايات ومصالح فردية...

المنظومات الحاكمة التي تولّت شؤون البلاد ومقدراتها على مرّ العقود فشلت في بناء دولة عصرية ديمقراطية تحقق رفاهية الشعب وطموحاته في الحياة الكريمة. هذه المنظومات المتسلّطة تجاهلت حاجات الشعب واهتمت بمنافعها الخصوصية وبالحفاظ على امتيازاتها ونفوذها وتمادت بفسادها وألغيتها واستغلالها لمواقع السلطة، ولم تنتج إلا المصائب والكوارث والنكسات وتكريس التبعية إلى الخارج. فسياساتها العقيمة وخطتها الاعتباطية وأعمالها الفاسدة ساهمت كلها، وما زالت، بزيادة المآسي والويلات وبإفقار الشعب المكبل بسلاسل العبودية وتكريس انتماءاته الدينية والعرقية والكيانية، وأدت إلى إضعاف الأمة وتفككها وإلى خسارة أجزاء حيوية من وطنها ودفعها للارتقاء في أحضان الإرادات الأجنبية.

وخلالاً لكل المتزعمين السياسيين، أسس سعاده حزباً عقائدياً، على أساس قومي، لإزالة أسباب الويل الذي حلّ على شعبه ولإعادة الحيوية والقوة لأمتة ولجعلها موحدة وصاحبة السيادة على نفسها ولتأمين مصالحها ورفع مستوى حياتها. هذا الحزب العقائدي هو ليس كالأحزاب السياسية القائمة على قضايا خصوصية ومصالح طائفية أو فئوية، والساعية لتحقيق غايات مبهمّة وأغراض محدودة، بل هو حزب فريد من نوعه، من حيث مبادئه وغاياته وقضيته، حزب يرتكز على مبدأ القومية الاجتماعية ويقوم من أجل قضية كلية، دائمة، تتناول المجموع القومي

سؤال يتبادر إلى الذهن: لو عاد سعاده اليوم وتأمّل في واقع أمتة المنكوبة والمفككة وما يسود فيها من تخلف وجهل وتخبط وعصبيات وانقسامات، وما ينخر في جسمها من مفسد وفوضى وانحطاط أخلاقي، فهل يبدر إلى فعل شيء مختلف عما قام به في ثلاثينيات القرن الماضي عندما أسس الحزب السوري القومي بغاية النهوض بأمتة والانتقال بها إلى المكان اللائق بها تحت الشمس لتتعم بالحياة الراقية الجميلة؟

برأينا، لو كان سعاده بيننا الآن وشاهد معاناة شعبه وما يتعرّض له من قهر وظلم وقتل وتشرد وجوع وإذلال لطرح على نفسه ذات السؤال الذي طرحه يوم كان حدثاً: "ما الذي جلب على شعبي هذا الويل؟". وكان هذا السؤال سيقوده حتماً إلى الأجوبة ذاتها التي دفعته إلى القيام بمشروعه التأسيسي الهادف إلى إطلاق النهضة القومية الاجتماعية التي ستعيد إلى الأمة سيادتها على نفسها ووطنها، والتي ستجدد حياتها بإزالة العوامل العديدة التي ساهمت بقتل روحيتها، وستنتقل بها إلى حياة جديدة تليق بها لأنها أمة متفوقة بنفسيتها وبمقدرتها على النهوض والتجدد ومن حقها أن تتعم بالحياة الكريمة اللائقة.

لو كنت أطلب شيئاً لنفسى...

هذه كانت غاية سعاده السامية يوم أسس حزبه القومي، معلناً لأول مرة في التاريخ الحديث إرادة أمة ظن العالم أنها رقدت إلى الأبد. أراد سعاده أن يؤسس عقلية أخلاقية جديدة ويضع أساساً مناعياً جديداً لمجتمع قومي صحيح لأن كل شيء في المجتمع الفاسد كان وفقاً للتربية السائدة وللنظرة القديمة، مسخراً لنفعية الفرد ولخدمة المنافع الفردية. فلم يكن هدفه تحقيق منفعة شخصية أو الحصول على مناصب سياسية كما يفعل المترعمون السياسيون النفعيون المتاجرون بالمبادئ، الذين يدوسون على أماني الشعب بأقدامهم. فهو لم يطلب شيئاً لشخصه. وقد أكّد على ذلك قائلاً: "لو كنت أطلب شيئاً لنفسى، لكنت سياسياً لبقاً كما يريد الذين يدوسون الشعب بأقدامهم ويعطونه من أسننتهم حلاوة. لو كنت أطلب شيئاً لنفسى لكنت سلكت غير هذا السبيل".¹ مطلب سعاده كان تحقيق نهضة حقيقية ببناء وشاملة، تتبع من صميم مجتمعنا، وتسعى إلى بناء النفوس ببناءً جديداً في العقيدة الصالحة، وإلى تطهير المجتمع من الفساد والفوضى والمثالب وتعمل على تجديد حياة الأمة والنهوض بها من واقع تخلفها

² سعاده في أول آذار 1956، ص 58.

¹ الأعمال الكاملة، المجلد السابع (1944-1947) - خطاب بيت مري.

بأكمله وتخدم حاجاته وتطلعاته وآماله في الحياة لذلك يعرفه سعادته بأنه "فكرة وحركة تتناولان حياة أمة بأسرها".³

الفكرة الأساسية الجوهرية التي يقوم عليها حزب سعادته هي "القومية الجديدة" التي تجمع بين الأفكار والعواطف وتوحد أبناء الأمة في اتجاه واحد وحول قضية واحدة جامعة مصالحهم وحقوقهم، هي قضية حياة الأمة وحريتها ومطالبها العليا وتقدمها نحو الأفضل والأجمل. هذه هي الفكرة الجامعة، فكرة الأمة وقضيتها القومية، التي نجدتها مفصلة بوضوح في العقيدة القومية الاجتماعية المعيرة عن جوهر نفسيتنا الخيرة. إنها فكرة مركزية، أساسية، تشكل محور المبادئ القومية الاجتماعية التي أعلنها سعادته ودعا الشعب إلى اعتناقها، والتي تخدم مصلحة الأمة وترقي حياتها وتؤسس لعقلية أخلاقية جديدة "هي أثنى ما يقدمه الحزب السوري القومي الاجتماعي للأمة، لمقاصدها، ولأعمالها واتجاهها".⁴ بدون هذه المبادئ الجامعة، لا يمكن توجيه حياة الأمة نحو التقدم والفلاح والارتقاء بها إلى مرتبة الأمم العظيمة. فكما يقول سعادته: "إن الأمم الكبيرة لم تكن كبيرة في الأصل، بل كبرت باعتناقها المبادئ الصحيحة التي تفتح أمامها سبل التقدم والارتقاء والفلاح".⁵

وظيفة المؤسسات حمل المبادئ لتحقيق الغاية

وأهمية المبادئ القومية الاجتماعية أنها تظهر شخصية أمة عظيمة وتحدد هويتها وملكيتهما للوطن وقضيتها المستقلة، وتعين حدود بينتها الجغرافية الطبيعية المتناسكة، وتؤكد على حقيقة وحدتها الاجتماعية وعلى ضرورة تغليب مصالحها القومية العليا على كل المصالح الفئوية والأنايية. وهذه المبادئ، التي اعتبرها سعادة قواعد لانطلاق الفكر، تقدم خطط إصلاح دولة الأمة، الهادفة إلى تنظيم أوضاعها الاجتماعية – السياسية – القضائية - الاقتصادية وتزويدها بعناصر القوة المادية – الروحية وتأسيسها على ركائز أساسية لتنهض دولة قومية حديثة ترعى شؤون المجتمع وحاجاته وتهتم بمشاكله ومصالحه وتنهض بأوضاع الشعب وتوفر له الازدهار والطمأنينة وهناء الحياة.

أما الحركة، الملازمة تلازمًا عضويًا لفكرة الأمة، فهي حركة منظمّة تضم مؤسسات قومية متنوعة، تشريعية وتنفيذية وقضائية، وظيفتها حمل المبادئ الجديدة وتحقيق الأعمال والمشاريع في شتى الميادين لتصب كلها في غاية الحزب وانتصاره. لذلك يصف سعادته حزبه العقائدي بأنه "منظمة عقائدية تفعل إدارة وسياسة وحرًا لتحقيق غاياته".⁶

كان لا بد لسعادته من إنشاء المؤسسات الجديدة لخلو المجتمع من المؤسسات القومية الصالحة لتجديد حياة الأمة وإيقاظ الوجدان القومي من نومه. فالمؤسسات الاجتماعية والتشكيلات السياسية القائمة في

المجتمع لم تكن صالحة لحاجات الأمة وإيقاظ الحس الاجتماعي بين أبنائها، أولاً، لأنها مؤسسات تقليدية، خصوصية، لا قومية، وذات طابع إقطاعي أو عشائري أو عائلي أو ديني. وثانياً، لأنها مؤسسات انتفاعية، متنافرة ومتضاربة المصالح والأهداف، تدعي الوطنية والتقدمية ولكنها تعمل لمنافعها وغاياتها الخصوصية وتتضارب فيما بينها لتنتج سياسة العائلات والمذاهب وثقافة الحقد والفتنة والتعصب والانقسامات الطائفية والتصادم الاجتماعي والأنايية العمياء. وهذه المؤسسات اللاقومية لم تأت بالتربية القومية المولدة للتعاون الاجتماعي ولثقة الشعب بنفسه التي هي مصدر العزم والهمة والأعمال الجبارة التي تدفعه إلى حل قضاياها بنفسه وإلى تحسين حياته والسير إلى ما فيه صلاحه وفلاحه. لذلك رأى سعادته أنه من الضروري إيجاد المؤسسات القومية الصالحة "لحمل مبادئ الحياة الجديدة وحفظ مطالبها العليا وخطتها الأساسية"⁷ وللمنع الفوضى والقضاء على العوامل الشخصية الأنايية. ويقول سعادته في خطابه في الأول من آذار عام 1938: إن إنشاء المؤسسات ووضع التشريع هو أعظم أعماله بعد تأسيس القضية القومية لأن المؤسسات هي التي تحفظ وحدة الاتجاه ووحدة العمل وهي الضامن الوحيد لاستمرار السياسة والاستفادة من الاختبارات.⁸

إن خروجنا من أوضاع الانحطاط ومفاسد السياسة والاجتماع والاقتصاد ومن كل الحالة التعيسة، التي نحن فيها واستعادة سؤددنا وعظمتنا ليس بالأمر المستحيل. المطلوب هو أن نستوفي شرطين أساسيين:

الشرط الأول هو اعتناقنا للعقيدة الصحيحة الجامعة التي تدفعنا إلى التأخي والاتحاد والتضامن والتعاون بإخلاص لتنفيذ أنفسنا من الأخطار الخارجية و"من الحزبيات الدينية، من الطائفيات، من تأثير الدول على هذه الحزبيات والطائفيات، من الأحقاد المتغلغلة في الصدور.."⁹ ولنكون شعبًا واحدًا، وإرادة واحدة، سائرين إلى المجد. والشرط الثاني هو اعتمادنا على المؤسسات القومية الصالحة للأعمال الإنشائية العظيمة التي تهتم في شؤوننا ومصالحنا وتساهم في ترقية هذه المصالح وبناء الحياة القومية الاجتماعية الجديدة.

نحن شعب غني بمواهبه العقلية وفيه كل إمكانيات الخلق والإبداع والتفوق. إننا قادرون، بما قدمه لنا سعادته من عقيدة صحيحة ومؤسسات قومية جديدة، أن نحطم الحواجز المصطنعة ونحرر النفوس من الأغلال الاقتصادية والروحية ونشق طريق الحياة الجديدة للأمة ونقودها "إلى مراكز المجد، إلى الخير، إلى البجوحة، إلى العظمة، إلى إعطاء العالم من إنتاجها العظيم".¹⁰

7 خطاب أول آذار عام 1938، سعادته في أول آذار، 1956، ص 47.

8 المرجع ذاته، ص 48.

9 خطاب الزعيم في بيت مري، 19/10/1947، الشمس، بيروت، العدد 299، 1947/10/19.

10 المرجع ذاته.

3 سعادته، المحاضرات العشر، ص 30.

4 سعادته، المحاضرات العشر، ص 178.

5 خطاب الزعيم في خونين، 31/01/1943، الزوبعة، بيونس آيرس، العدد 61، 1943/06/15.

6 راجع رسالة الزعيم إلى غسان تويني بتاريخ 9 تموز 1946 منشورة في "أنطون سعادته في مغتربه القسري 1946" (الأثر الكاملة -13)، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت 1984، ص 314.

السياسة والثقافة و"البوصلة المجنونة"!

بقلم الأمين أحمد أصفهاني



هل تذكرون كيف تعمل البوصلة؟

قد يستغرب بعضكم هذا السؤال، لكن يبدو أننا وصلنا إلى مرحلة بتنا فيها مضطرين بالحاح للتذكير بالبداهات الكثيرة التي غطاها تراب حفاري القبور من كتبة الصحف وشاغلي وسائل التواصل الاجتماعي هذه الأيام.

وللتذكير نقول: البوصلة تعمل وفق انجذاب الإبرة إلى الحقل المغناطيسي في القطب الشمالي. ومهما تغير موقع حامل البوصلة، فإن الإبرة توشر دائماً إلى الشمال... إلا في حالة استثنائية واحدة: عندما تحيط بالبوصلة حقول مغناطيسية اصطناعية أخرى، وقتها «تجن» الإبرة فلا يهدأ لها قرار في أي اتجاه كان.

«البوصلة المجنونة» إجراء مقارنة بين حال الثقافة في الغرب وكيف يتلقاها المواطن العادي هناك وبين حالها في أمتنا وعالمنا العربي وكيف يتلقاها المواطن هنا. بل إن مثل هذه المقارنة تحمل في طياتها - إضافة إلى الخلط المنطقي الواضح - محاولة خبيثة للانتقاص من قيمة ثقافات العالم العربي لصالح النموذج الغربي المتفوق... دائماً.

إذا ركز الغربي تساؤلاته الثقافية حول الأساليب والنماذج والوسائل فإنه إنما يعبر عن المرحلة التي وصلت إليها المجتمعات الغربية في تطورها المجتمعي. البريطاني لا يتردد في الإجابة على سؤال «من نحن» بالقول إنه بريطاني وثقافته إنكليزية (الاستثناء هو إيرلندا الشمالية ذات الوضع الخاص). لم نسمع أي بريطاني يجيب بالقول إنه بروتستانت أو كاثوليكي أو يهودي أو حتى مسلم! هو بريطاني أولاً، وهي مسألة محسومة بالنسبة إليه منذ قرون. والشيء نفسه ينطبق على الفرنسي والألماني والإسباني والإيطالي والأميركي (مع استثناءات طبعاً).

لكن ماذا عن الأمة السورية وعالمها العربي؟ هل نفتح الملفات لنكتشف عمق أزمة الهوية القومية في كل الديار العربية من المحيط إلى الخليج، أم نكتفي بلبنان مثلاً والعراق نموذجاً؟

وأي ثقافة نتوقع من مجتمعات ما زالت تبحث عن نفسها بين أطلال التاريخ والجغرافيا؟

ليس من المستغرب أن يركز مواطننا، في تناوله مسألة الثقافة، على الجوانب السياسية (كما عرفناها أعلاه)، فهو ما زال يبحث عن هويته القومية والحضارية ويأمل في أن يساعده حَمَلَةُ الأَقلام بعملية الاكتشاف القيصريّة تلك. خصوصاً إذا كانت السياسة - كما الثقافة - هي فن خدمة أعراض الأمة، لا مصالح الأفراد أو الجماعات المتناحرة كما هو حاصل اليوم.

لكن مسكين هذا المواطن، ذلك أن بعض حَمَلَةُ الأَقلام - المفترض فيهم أن يكونوا طليعة مكتشفي الذات - صار كالبوصلة المجنونة بعد أن ضاع منه الحقل المغناطيسي الطبيعي، فشرذ وراء سراب الأوهام الاصطناعية!

ما علاقة هذا الأمر بالموضوع الذي اخترناه: «الثقافة والسياسة»؟

العلاقة بسيطة وواضحة أيضاً. فالكاتب الذي لا بوصلة لأفكاره ومواقفه ولا يجذب طبيعياً إلى حقله المغناطيسي، سيكون عرضة للانجذاب إلى حقول أخرى اصطناعية، فلا تقر «إبرته» في اتجاه واضح ويّين بل «تجن» في كل الاتجاهات ولا يهدأ لها قرار أبداً.

ولندخل في موضوعنا بطرح السؤال الآتي: هل صحيح أن السياسة في مفهومها الحضاري القومي منفصلة عن الثقافة ومنعزلة عنها؟ بكلام آخر: هل أن ارتباط المثقف بذلك النوع من السياسة يعد انتقاصاً من قيمة الثقافة ودورها؟

هذا يدفعنا إلى التحديد أكثر، لأن التعيين شرط الوضوح. السياسة التي نتحدث عنها هنا - وغير هنا أيضاً - هي سياسة القضايا المصرية وليست سياسة المباحكات الحزبية الضيقة. عندما يكتب شاعر أو أديب أميركي أو بريطاني عن سياسة هذا الحزب أو ذلك، فإنه لا يقدم ثقافة على الإطلاق. أما عندما يكتب، هو نفسه، معارضاً حرب فيتنام مثلاً، أو فاضحاً الزيف الاجتماعي المختبئ خلفه حزام الفقر في بريطانيا، فإنه يكون قد تناول إحدى القضايا المجتمعية، وهنا تكون الثقافة في صلب السياسة ومحركتها كذلك.

عندما كتب همنغواي رواياته، ولوركا أناشيده، وأراغون قصائده، وأورويل قصصه... كانوا يكتبون في السياسة، وكانوا يقدمون روائع خلدتها الأجيال. وعندما قدم نجيب محفوظ رواياته، وسعيد تقي الدين مقالاته، وبدر شاكر السياب أغانيه، وعبد الرحمن منيف قصصه، وتوفيق الحكيم مسرحياته، كانوا بذلك ينضمون إلى سلسلة طويلة من عباقرة الكلمة منذ أن تحول الحرف جزءاً من عملية التغيير الاجتماعية، المستهدفة قضايا مصيرية لا غنى للثقافة عن تناولها والتعبير عنها. بل إن السوريين والعديميين الذين صاغوا نظرية «الفن للفن والثقافة للثقافة»، إنما كانوا يعبرون عن «سياسة» الهرب من قضايا المجتمع ومشاكله!

وتصبح المسألة أكثر إلحاحاً عندما تتعلق بدول ما زالت تتلمس هويتها القومية والحضارية. ومن الخطأ هنا (وهذا خطأ مسؤول عنه ذوو

محاضرات الندوة الثقافية المركزية

في تقديمه للرفيق وليد عكر، الأمين الدكتور إدمون ملحم يحدد الركائز الأربع للاقتصاد القومي

الإنتاج ووحدة المجتمع والعقلية الأخلاقية والعدالة الاجتماعية

من ضمن سلسلة المحاضرات الشهرية التي تنظمها الندوة الثقافية المركزية في عمدة الثقافة والفنون الجميلة، قدّم الرفيق وليد عكر في التاسع من أيلول المنصرم محاضرة بعنوان "السياسة المالية والنظام الضريبي في الدولة القومية الاجتماعية". تجدون مادتها مباشرة بعد الكلمة الافتتاحية لرئيس الندوة الثقافية المركزية الأمين الدكتور إدمون ملحم، التي قدّم بها المحاضر، مشيراً فيها إلى المقومات الأساسية للاقتصاد القومي في مفهوم سعادته. وفيما يلي ما جاء في كلمة الدكتور ملحم:

والركيزة الثالثة، هي العقلية الأخلاقية الجديدة التي يجب أن يتمتع بها العاملون المنتجون واضعين نصب أعينهم مصلحة الأمة فوق كل مصلحة. لأن كل نظام، يقول سعادته، يحتاج إلى الأخلاق، بل أن الأخلاق هي في صميم كل نظام يمكن أن يكتب له أن يبقى.

والركيزة الرابعة، هي العدالة الاجتماعية التي تشكل جوهر هذا النظام القومي الاجتماعي الجديد. وتتجلى العدالة الاجتماعية باتجاه هذه النظام القومي الاجتماعي لإقامة العدل الاجتماعي-الحقوقي بإلغاء الإقطاع ووضع حد لحالة الإجحاف والعوز والاستعباد التي يعاني منها فئات من الشعب وبمنع الظلم والاستبداد بالرأس المال وتأمين الحق في العمل والإنتاج وإنصاف المنتجين من تعسف الإقطاعي والرأسمالي وتوزيع الإنتاج توزيعاً عادلاً. لذلك يقول سعادته: نحن نقول بالحق والعدل الذي يجعل مجموع الشعب في حالة خير وبحبوحة فلا يكون أناس في السماء وأناس في الجحيم.

وعن المزيد عن هذا الاقتصاد القومي الاجتماعي وعن مفهوم العدالة فيه، سيقدم لنا اليوم الرفيق وليد عكر محاضرة بعنوان "السياسة المالية والنظام الضريبي في الدولة القومية الاجتماعية" مستنداً إلى شروحات سعادته عن الاقتصاد.

والرفيق وليد هو خبير اقتصادي وأستاذ محاضر في مادة الاقتصاد في العديد من الجامعات اللبنانية منذ العام 1990 حتى الآن. وقد حاضر في الجامعة اللبنانية الأميركية وفي جامعة البلمند وجامعة الحكمة وفي الـ AUST- American University of Science & Technology

وشغل الرفيق وليد المناصب التالية:

- مدير إداري لصحيفة الديار في التسعينات
- مدير مكتب التنمية في جامعة البلمند ما بين 2000-2002
- مدير إداري لصحيفة البناء ما بين 2008-2010

في تاريخ علم الاقتصاد، برز العديد من الفلاسفة والمفكرين والخبراء الاقتصاديين الذين أثروا الفكر الاقتصادي بأفكارهم ونظرياتهم. وفي القرن الماضي، ظهر في سورية فيلسوف عبقري مبشراً بفلسفة جديدة غايتها جمع الشمل والنهوض بالأمة ليكون لها حياة أرقى وأفضل وأجمل ولتجد نفسها مساهمة في العمل لخير الإنسانية وتقدمها.

وانطلاقاً من فلسفته القومية الاجتماعية، وضع أنطون سعادته أفكاره الاقتصادية الإصلاحية وشرحها في محاضراته الثامنة وفي كثير من مقالاته وبياناته الموزعة في أعماله الكاملة. إن ما قدّمه سعادته في شرحه للمبدأ الاقتصادي هو "قواعد عامة ومعلومات أساسية" تشكل الأساس لنظام الاقتصاد القومي الاجتماعي للدولة القومية الاجتماعية التي سنشرّف على تطبيقه وضبطه وتطويره وفق حاجات المجتمع ومطالبه ومطامحه وتحقيقاً لحياة الأمة اللانقطة ومصالحها ورفيها. وفي ختام محاضراته، طالب سعادته أبناء عقيدته البناء على هذا الأساس وتحضير شروحات ومحاضرات اختصاصية في كل باب وناحية من نواحي المبدأ الاقتصادي.

والاقتصاد القومي الاجتماعي يقوم على ركائز أساسية سأذكر بعضاً منها:

الركيزة الأولى، هي الإنتاج الذي يعتبره سعادته الأساس الهام للاقتصاد القومي والمفتاح للقضية الاقتصادية كلها وبدونه لا يمكننا مطلقاً التفكير برفاهية الشعب وتحسين حياته.

والركيزة الثانية هي وحدة المجتمع التي بدونها لا تستقيم العملية الاقتصادية ولا يقوم اقتصاد صحيح لأن الاقتصاد لا يمكن أن ينظر إليه إلا بالمنظار القومي، بمنظار المجتمع الموحد الأمة التي هي وحدة جماعة ووحدة أرض، أي وحدة اقتصاد يوفّر للأمة الاستقرار والطمأنينة والارتقاء وزيادة الخير.

السياسة المالية والنظام الضريبي في الدولة القومية الاجتماعية

بقلم الرفيق المحاضر وليد عكر*



الاقتصادية وبالفضة، ليحقق اكتفاءه الفردي ويؤمن حاجاته ورغباته باستهلاك البضائع والسلع والخدمات. كما انه يسعى وراء مصلحته الفردية في الإنتاج وتحقيق أعلى مستوى ممكن من الأرباح. لذلك على النظام الاقتصادي المثالي إعطاء الفرد الحرية المطلقة في اتخاذ القرارات المالية والاقتصادية التي يراها مناسبة له ولمصلحته ومنفعته المادية كمستهلك ومنتج. لا أحد في هذه الدنيا يدرك ما هو الأفضل لكل إنسان إلا الإنسان - الفرد بذاته. المنفعة الذاتية للفرد "Self-Interest" هي الفرضية التي بنى عليها "سميث" نظريته بالحرية الفردية ونظام السوق وعدم تدخل الحكومات بما يقرره الأفراد بحرية في الأسواق

كما أكد على هذه النظرية وعززها بريطاني آخر من لندن، دافيد ريكاردو، لتغدو نظاماً سياسياً - اقتصادياً اتبعه الغرب لفترة طويلة وما زال لكن مع تعديلات جوهرية عندما تعرض النظام الرأسمالي لهزة كبيرة كادت أن تقضي عليه عام 1929 بما عرف بالكساد الكبير (The Great Depression)، عندما فشل نظام السوق في تحقيق ما هو الأفضل للولايات المتحدة والغرب والعالم. هنا برز اقتصادي بريطاني آخر "جان ماينرد كاينز" في أوائل الثلاثينات. كاينز كان أول من تجرأ بطرح الدعوة الى تدخل الحكومات في الأسواق لضبط حرية الأفراد لكن فقط عندما يفشل نظام السوق في تحقيق النمو الاقتصادي وخلق الوظائف واستقرار الأسعار.

اعتبر كاينز أن فرضية "سميث" فيما يتعلق بالمنفعة الفردية تحمل الكثير من التعميم وتوجه بالنقد الجريء للنظرية الرأسمالية الكلاسيكية التي سيطرت على الأنظمة الاقتصادية أكثر من 100 عام. دعا كاينز الى تدخل الحكومات عندما يفشل السوق بتحقيق النتائج الاقتصادية المطلوبة. وتوجه بخطابه لزملائه الاقتصاديين المتشددون في دفاعهم عن الرأسمالية الكلاسيكية داعياً إياهم الى مناقشة طروحاته الجديدة بهدوء وعقلانية مدركاً صعوبة مهمته قائلاً في مقدمة كتابه "لا تكمن الصعوبة في تقبل الأفكار الجديدة بل في التخلص من الأفكار القديمة التي تشعشع في كل زاوية من تفكيرنا". إذاً جاء كاينز بطروحاته الجديدة رداً على الانهيار الاقتصادي والمالي عام 1929 داعياً الى تدخل الحكومات في اتخاذ القرارات الاقتصادية وفي نظام السوق متى فشل السوق في محاربة الكساد وتحقيق المساواة.

في المقلب الآخر من العالم نشأت وتطورت النظرية الاشتراكية التي دعت الى سيطرة الحكومات على جميع القرارات الاقتصادية والمالية فيما عرف بالإقتصاد الموجه وهو النقيض لنظام السوق. ذلك أن

أسس سعادته الحزب السوري القومي الاجتماعي عام 1932 حزبا سرياً خلال الانتداب الفرنسي في لبنان وسوريا والانتداب البريطاني في فلسطين، الأردن والعراق في الوقت الذي كانت فيه الأحزاب السياسية محظورة.

انكشف امر الحزب عام 1935 وتم اعتقال سعادته وعدد من أعضاء الحزب ومسؤوليه ثلاث مرات بين 1935-1938 طغت مقاومة الحزب القومي للانتداب على ما عداها من نشاطات وطروحات وأفكار لشدة الصراع وإصرار سعادته والحزب القومي على تحقيق الاستقلال مهما كلف الأمر من تضحيات.

السؤال الذي سأحاول الإجابة عليه: هل كان للحزب القومي سياسة اقتصادية منذ تأسيسه؟ وما هي علاقة هذه السياسة إن وجدت بالقضية القومية؟ أم أن القضية القومية من استقلال وسيادة ووحدة قومية أمور منفصلة عن الشأن الاقتصادي وعن السياسة الاقتصادية؟

السياسات الاقتصادية في الثلاثينات والأربعينات

بداية لا بد من عرض موجز للسياسات الاقتصادية التي سادت العالم آنذاك، أي في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين خصوصاً أن سعادته درس وحلل الأفكار والعقائد الأخرى ومن ضمنها الدعوات الدينية استناداً الى المكان والزمان وليست دراسته لنشوء الأمم وتطور الأديان في مقالات "جنون الخلود" في الأربعينات والتي تم جمعها لاحقاً في كتاب "الإسلام في رسالتيه" إلا الدليل القاطع على ذلك.

منذ أن أطلق الاقتصادي الإسكتلندي ادم سميث في كتابه الشهير "ثروة الأمم" عام 1776 نظرية "نظام السوق" متأثراً بأفكار بعض الاقتصاديين الفرنسيين آنذاك، سيطرت على أوروبا والعالم فكرة الحرية الاقتصادية، أي حرية الفرد في اتخاذ القرارات التي يريد في كل ما يتعلق بالإنتاج والاستهلاك. تزامن ذلك مع دعوة "سميث" الى عدم تدخل الحكومات في القرارات الاقتصادية ومنح الفرد الحرية المطلقة فيما عرف ب "نظام السوق" حيث يلتقي المنتجين والمستهلكين بحرية تامة ودون قيود أو عوائق أو أي شكل من أشكال تدخل الحكومة، ليقرروا مجتمعين وبملاء إرادتهم كمية الإنتاج ونوعيته وسعره (قيمه) إضافة الى توزيع الإنتاج وبالتالي الثروة.

استند "سميث" في نظريته الاقتصادية- السياسية والتي عرفت بالنظام الرأسمالي على فرضية أن الفرد يعمل دوماً حسب مصلحته

ويضيف: " فإقامة العدل الاجتماعي- الحقوقي والعدل الاقتصادي- الحقوقي امر ضروري لفلاح النهضة السورية القومية الاجتماعية. " الى جانب المبدأ الإصلاحي الرابع وشرحه في المحاضرات العشر يؤكد سعادته وهو في خضم المواجهة مع السلطة الشامية المتآمرة والسلطة اللبنانية المعتدية، على ضرورة " تطهير إدارة الدولة من الرشوة والفساد والتحكم" وذلك في بلاغ الثورة القومية الاجتماعية الأولى في 4 تموز 1949

ويضيف في بلاغ الثورة المختصر:

"إزالة الحيف عن العمال والمزارعين" و" القضاء على الاحتكار والطغيان الرأسماليين"

وفي بيان الأول من أيار 1949 يتوجه سعادته الى العمال "إعطائكم حق العمل وحق النصيب منه" داعياً إياهم "اطلبوا العدل الاجتماعي"، لكن كيف السبيل الى تحقيق ذلك؟ وما هو دور الدولة القومية من أجل الوصول الى تحقيق العدالة الاقتصادية؟

سعادته والرأسمال الفردي

يؤكد سعادته إن المشكلة ليست في الرأسمال، فهو لم يدعو الى إلغاء الملكيات الفردية في الدولة القومية الاجتماعية إلا في حالة الملكيات الفردية التي تلحق الضرر بالمصلحة القومية، أي عندما تكبر هذه الملكيات بشكل يهدد تحقيق العدالة الاجتماعية - الاقتصادية ويقول في هذا الصدد:

"إن في سورية إقطاعات حقيقية تولف جزءاً لا يستهان به من ثروة الأمة ولا يمكن بوجه من الوجوه حساباتها ملكاً شخصياً" وهذا يندرج في مفهوم سعادته للسيادة، أي سلامة الدولة، الدولة القومية الاجتماعية التي لا تدعو الى إلغاء الملكية الفردية أو الرأسمال الفردي المنتج إلا في الحالات القصوى من التضخم والسيطرة. لذلك لم يدعو سعادته الى مصادرة الأموال أو التأميم، أي أن تملك الدولة القومية مجموع الرساميل ووسائل الإنتاج. ولا بد من الإشارة هنا الى أن سعادته دعا الى محاربة الرأسمال الأجنبي خلال الانتدابين الفرنسي والبريطاني لدول الأمة السورية ولم يدعو الى الأمر ذاته عندما يكون الرأسمال وطني. وكما رأينا يربط سعادته ذلك بمفهوم السيادة وسلامة الدولة، الدولة القومية الاجتماعية، وليس حكومات الفساد والاحتكارات. ويدعو سعادته الى انه علينا أن نتصور الدولة القومية وهي غير موجودة لكن علينا أن نتصور وجودها لنتمكن من أن نعي خصائصها في الوقت الذي نعمل لحدوثها. إنها دولة الاستقرار والطمأنينة وزيادة الخير ورفع المستوى المعيشي للإنسان.

لكن هل يعني ذلك أن للرأسمال الفردي الحرية الكاملة للنمو والإنتاج دون قيود كما في نظام السوق الكلاسيكي؟ إن مفهوم سعادته للعدالة الاجتماعية - الاقتصادية يمنح الدولة القومية حق التدخل في مراقبة الرأسمال الفردي وضبطه دون مصادرته. إن حرية الفرد الرأسمالي حرية مقيدة وخاضعة لضبط الدولة القومية الاجتماعية بما يتوافق مع المصلحة القومية. لا بل أكثر من ذلك فقد اعتبر سعادته أن أصحاب

الحكومة هي التي تترك وتعي مصلحة الأفراد وبالتالي مصلحة المجتمع. وعضاً عن نظام السوق الذي يراكم مصالح الأفراد وصولاً الى مصلحة الجماعة دعت الاشتراكية الى نظام موجه من قبل الحكومات التي عليها أن تضع الخطط المالية والاقتصادية لأنه ليس بمقدور الفرد أن ينظر بشمولية الى مصلحة المجتمع كونه يحصر اهتمامه بمصلحته الفردية وهنا يأتي دور الحكومة لتحقيق مصلحة المجتمع.

في الخلاصة سيطرت فكرتين متناقضتين على النظام الاقتصادي للدول خلال الفترة التي أسس بها سعادته الحزب القومي. ولكل من الفكرتين أجوبة مختلفة على الأسئلة الاقتصادية الأساسية التي تواجهها المجتمعات.

السؤال الأول: ماذا ننتج وما هي كمية الإنتاج؟

السؤال الثاني: كيف ننتج وكيفية توظيف وسائل الإنتاج؟

السؤال الثالث: كيف تتم عملية توزيع الإنتاج؟ من يتمتع بماذا من البضائع والسلع والخدمات التي تم إنتاجها؟

الجواب الأول على الأسئلة الثلاث هو نظام السوق والجواب الثاني هي الحكومات.

سعادته ومفهوم العدالة الاجتماعية- الاقتصادية

هل كان لسعادته رأي في كل ذلك؟ الجواب نعم. طرح سعادته نظاماً اقتصادياً قائماً على الإنتاج مؤكداً انه "لا اقتصاد دون انتاج" تزامناً مع تحقيق العدالة الاجتماعية والعدالة الاقتصادية في توزيع الإنتاج وفي حق العمل. ما طرحه سعادته هو مزيج من الحرية الفردية وتدخل الحكومة في الإجابة على الأسئلة الاقتصادية الأساسية. وركز سعادته انه لا يعني بذلك أي حكومة بل تحديداً الدولة القومية الاجتماعية، دولة العدالة الاجتماعية- الاقتصادية.

كما لم يفصل سعادته بين القضية الاقتصادية والقضية القومية ويؤكد ذلك بقوله: "إن قضيتنا الاقتصادية قضية قومية قبل كل شيء"

إذاً القضية القومية لا تقتصر على تحقيق الاستقلال ومحاربة الاحتلال وطرد الأجنبي والوقوف في وجه العدو اليهودي في سورية، بل أنها تشمل في الوقت ذاته تحقيق النمو الاقتصادي ورفع المستوى المعيشي للشعب وتأمين الرخاء الاقتصادي واستخدام وسائل الإنتاج بأفضل الطرق وأكثرها فعالية ومحاربة الفساد بكل أشكاله وتحقيق العدالة في توزيع الثروة والإنتاج. إن مفهوم السيادة يعني سيادة الأمة على مواردها الطبيعية في أرضها كما على مواردها البشرية والمادية من رأسمال وغيره. ماذا تستفيد الأمة وما هو مصير القضية القومية إذا حققنا الاستقلال وتخلصنا من الاحتلال الأجنبية التي تستغل مواردها الطبيعية والبشرية والمادية لتقوم باستغلال هذه الموارد طغمة فاسدة من أهل الوطن؟ أو سلطة حاكمة بالتزوير والفساد لكن من أهل البلاد؟

يقول سعادته: " الوحدة القومية لا يمكن إن تحصل ضمن نظام اقتصادي سيء كما انه لا يمكن أن تحصل ضمن نظام اجتماعي سيء"

الرساميل هم ابعد الناس عن التفكير بالشأن القومي لكنه لم يقل انه ليس بمقدور هم أن يكونوا مواطنين ملتزمين مصلحة بلادهم.

يقول سعادته في هذا الخصوص: "فاذا ترك للفرد الرأسمالي حرية مطلقة في التصرف بالعمل والإنتاج كان لا بد من وقوع إجحاف بحق العمل والعمال". لا بد من الإشارة هنا الى التضارب الجوهرى في هذه الناحية بين ما اعتقد به سعادته وبين الرأسمالية الكلاسيكية التي تمجد الطمع الفردي وتعتبر أن الطمع مسألة إيجابية لأنها تعطي الحوافز للمنافسة وبالتالي زيادة الإنتاج وهذا ما لا يوافق عليه سعادته بأي شكل من الأشكال.

السياسة المالية

أن الطريقة التي تتم بها عملية ضبط رأس المال وضبط توزيع العمل وضبط توزيع الإنتاج تكون من خلال السياسة المالية والضريبة التصاعدية التي تحقق التوازن الصحي بين توزيع العمل وتوزيع الثروة. ويظهر ذلك واضحاً في بيان الحزب القومي ومنهجه النيابي عام 1947 كما يبدو بشكل تقني ومفصل في مذكرة الحزب القومي الى عصابة الأمم عام 1936 والتي تم نشرها في عام 1942 والتي كتبها رئيس الحزب آنذاك نعمة ثابت وباللغة الإنكليزية.

من خلال هذه البيانات والمذكرات نتمكن أن نرى كيف كان لسعادته والحزب القومي رأياً متقدماً في حينه من الشأن الاقتصادي فيما يخص المسائل الاقتصادية الجوهرية مثل توزيع الدخل وكيفية إعادة توزيع الدخل من خلال الضرائب وتحديد الضرائب المباشرة على مداخيل الأفراد وأرباح الشركات وبشكل تصاعدي.

أدرك سعادته أن علم الاقتصاد ليس علماً محدداً أي أنه ليس هناك من أجوبة محددة على الأسئلة المحددة، كما انه ليس هناك من معادلات رياضية بإمكان السياسات الاقتصادية من مالية ونقدية أن تستخدمها لمعالجة المشاكل الاقتصادية مثل الركود الاقتصادي والبطالة والتضخم. ولذلك اعتبر انه لا بد من ترك الأمور الفنية-التقنية لذوي الاختصاص.

كما نجد ذلك في تعليقه على مذكرة الحزب القومي 1936 لا بل قبل ذلك إذا عدنا الى السنين الأولى لتأسيس الحزب القومي عندما كتب سعادته في مجلة المجلة نيسان 1933 انه: "يجب أن يشترك في هذه المؤامرات مندوبون اختصاصيون يضعون تقارير وافية"، ليضيف قائلاً: "الاختصاص الفني والروحية الاجتماعية لان العلم لا يكفي"

الاقتصاد القومي الاجتماعي

إذا هناك طرح اقتصادي مبدئي تمسك به سعادته والحزب القومي باستطاعتنا نتبعه بدأ بالمبدأ الإصلاحي الرابع ومذكرة الحزب القومي الى العصابة الأممية 1936 والتي نشرت في جريدة الزوبعة في الأرجنتين عام 1942 مروراً بمقالات عدة لسعادته خلال فترة الاغتراب القسري وبعدها في بيان الحزب القومي ومنهجه النيابي 1947 وبيان الأول من أيار 1949 وصولاً الى بلاغ الثورة 4 تموز 1949 .

يؤكد هذا الطرح فيما يختص بالنظام الاقتصادي القومي الاجتماعي على الأمور التالية:

- استثمار موارد البلاد بواسطة الرساميل الأجنبية يقود الى الإفلاس القومي والى الخراب السياسي والاجتماعي

- السعي الى اتباع سياسة اقتصادية قومية تؤمن حصول رأسمال قومي ثابت يمكن أن تقوم عليه مشاريع زراعية وصناعية قوية

- ضبط رأس المال من قبل الدولة القومية وتوجيهه نحو تقوية اقتصاديات البلاد وزيادة ثروتها

- ضبط توزيع العمل وتوزيع الإنتاج من قبل الدولة القومية الاجتماعية بحيث تتحسن حياة الفلاح والعامل ضمن إمكانيات الإنتاج وزيادته

- إقامة سياسة مالية-ضريبية تعزز من تحقيق العدالة الاجتماعية-الاقتصادية

- الاعتماد على الضريبة التصاعدية المباشرة لتوزيع الإنتاج والدخل باتجاه المساواة

- محاربة التهرب الضريبي بكافة أشكاله من قبل زعماء الأقطاع والأغنياء ورجال السياسة ومحاسبهم

- إلغاء الاحتكارات ومحاربتها للقضاء عليها

- لم يكن للغرب أن ينتصر علينا لولا الفساد وسرقة المال العام وتمركز الثروة بيد الأقلية الثرية وأصحاب الاحتكارات والوكالات الحصرية

السياسة الاقتصادية داخل الحزب القومي

وضع سعادته مراسيم دستورية تختص بالشأن الاقتصادي-المالي في الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي اعتبره الدولة السورية المصغرة. أي النموذج العملي والفعلى لما نسعى الى تحقيقه في كامل الأمة السورية. أراد سعادته بذلك أن يقرن القول بالفعل. وإذا كان علينا أن نتخيل وجود الدولة القومية الاجتماعية ونظامها الاقتصادي كما يقول في شرح المبدأ الإصلاحي الرابع والى جانب ذلك هناك المنظمة القومية الاجتماعية التي ستباشر تطبيق النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي داخل صفوفها من قبل أعضائها المؤمنين. كان ذلك في مراسيم عدد 4 و5 و6 من الدستور الذي صدر في 20 كانون الثاني 1937.

مرسوم عدد 4: ينشأ في كل منقذية مجلس تمثيلي استشاري له صفة تشريعية في الضرائب المالية (الاشتراكات) المحلية. إن إقامة نظام ضريبي تصاعدي ومباشر على الدخل والأرباح هو جزء من دستور الحزب القومي. وهناك مجلس خاص هو مجلس المنقذية .

ما هي صلاحية ووظيفة هذا المجلس المنتخب من أعضاء الحزب؟

صلاحية هذا المجلس فيما يختص بالشأن الاقتصادي، درس شؤون المنطقة ودرس مشاريع وتدابير سياسية ومالية واجتماعية واقتصادية محلية وتقرير الضرائب (الاشتراكات) المحلية ودرس موازنة المنقذية .

منذ تأسيس الحزب القومي أكد سعادته على دور الضرائب في الدولة السورية المصغرة ليس فقط لتأمين إنفاق الموازنة بل لإقامة المشاريع وتحقيق العدالة.

على السياسة المالية- الضريبية أن تقوم بدورها في تحقيق العدالة الاجتماعية- الاقتصادية وتحديداً الضريبة المباشرة والتضاعدية. لذلك على مجلس المنفذية أن يدرس أحوال الرفقاء والرفيقات ومدى قدرتهم على تسديد ما يتوجب عليهم من ضرائب، مداخيلهم، أملاكهم، عدد أفراد أسرهم، أعمارهم، درجة تحصيلهم العلمي تماماً كما يحصل في الدول المتقدمة. تقدم سعادته بهذا الطرح عام 1937 وجعله جزءاً من دستور الحزب ووضع له المراسيم ليتم العمل به داخل النموذج القومي الاجتماعي الذي هو الحزب القومي. وقد يسأل أحدنا؟ ماذا يجني القومي في الدولة القومية الاجتماعية المصغرة من خدمات عندما يخضع للنظام الضريبي الداخلي؟

يجب ألا يغيب عن بالنا القسم الحزبي الذي يدعو إلى مساعدة القوميين لبعضهم البعض وكيف أن تطبيق هذا النظام الضريبي ينظم هذه المساعدة من المقتردين إلى من يحتاج إليها فلا تكون المساعدة خاضعة لمزاجية الأفراد بل لنظام المؤسسات. كما أننا في الحزب القومي تعاقداً على أمر خطير يساوي وجودنا.

* أستاذ جامعي في مادة الاقتصاد

صوت سعادته

المجلة – بيروت – المجلد الثامن – العدد 3 بتاريخ الأول من أيار 1933



. الاقتصاد القومي: لعلّ أعظم نقاط ضعفنا فيما يختص بشؤوننا الاقتصادية أننا لا نزال بعيدين جداً عن مبادئ الاقتصاد القومي. إننا حتى الساعة لا نفقه جيداً أنّ قضيتنا الاقتصادية قضية قومية قبل كل شيء.

إننا نعقد المؤتمرات للبحث في التعرفة الجمركية واتفاقات السكة الحديدية، ونظن أنه متى أجريت التعديلات التي نتوخاها من هذه الوجهة، انتهت قضيتنا الاقتصادية على أحسن ما يرام. وما أبعد هذا الظن عن الحقيقة!

إنّ المؤتمرات التي يرجى من وراء عقدها الوصول إلى نتائج ثابتة في حياتنا الاقتصادية يجب أن تتناول غير مواضيع التعرفة الجمركية واتفاقات السكة الحديدية التي هي من الأمور الفرعية لا الأساسية. يجب علينا أن نعقد مؤتمرات ندرس فيها موقف الشعب السوري كله هنا وفي الشام وفلسطين وسائر أنحاء البلاد السورية وموارده الطبيعية وكيفية استثمارها والعوامل التي تؤثر عليه ونوعها وكيفية الوقاية من أضرارها. ويجب أن يشترك في هذه المؤتمرات مندوبون اختصاصيون من جميع أنحاء القطر يضعون تقارير وافية عن أحوال مناطقهم الزراعية والتجارية والصناعية. أما عقد المؤتمرات لمطالبات الحكومات المشلولة بتعديل بعض التعريفات الجمركية والاتفاقيات الإدارية فليس من الأمور التي يترتب عليها عظيم فائدة.

إنّ مسألتنا الاقتصادية يجب أن تكون مسألة شعب يريد هو أن يتولى أموره بنفسه، فيراقب الأحوال والأسواق ويدرس الأمور التي لها علاقة باقتصادياته، لأنه لا يمكن في مثل حالتنا الحاضرة الاعتماد على الحكومات المحلية التي لا يمكنها أن تنظر إلى الأمور إلا من وراء نظارات الوظائف في نطاق محدود جداً.

ولقد سرّنا كثيراً ما أذاعته الصحف منذ أيام، عن عزم صنّاع الجلود والأحذية هنا وفي فلسطين عقد مؤتمر يدرسون فيه موقف صناعاتهم وطرق تعاونهم على وقايتها من مزاحمة المصنوعات الغريبة. ونرجو أن يعقب مؤتمر صنّاع الجلود مؤتمرات اختصاصية أخرى تنتهي إلى مؤتمر عام يوضع فيه الموقف الاقتصادي كله على بساط البحث.

وسرّنا أيضاً ما نراه من تنبه واستعداد في الشعب للاهتمام بشؤونه الاقتصادية، والإقبال على الصناعات الوطنية وتأييد كل ما من شأنه تحسين حالة الأمة الاقتصادية، وهذه حالة نفسية كثيرة الموافقة للقيام بنهضة الاقتصاد القومي التي لا رجاء بتحسين أحوال البلاد الاقتصادية إلا على يدها.

نظرة قومية اجتماعية في مفهوم الثقافة

بقلم الأمين أحمد أصفهاني*



ضمن سلسلة محاضرات الندوة الثقافية المركزية، قدّم الأمين أحمد أصفهاني محاضرة في السابع من تشرين أول 2022 تحت عنوان "نظرة قومية اجتماعية في مفهوم الثقافة". حضرها، إلى جانب عميد الثقافة والفنون الجميلة الدكتورة فاتن المر ومسؤولين حزبيين، عدد من القوميين والأصدقاء. افتتح رئيس الندوة الأمين الدكتور إدمون ملحم اللقاء بالكلمة التالية:

مجتمعنا، والتي تصبُّ كلُّها في تعطيل وحدة الحياة المجتمعية وفي تهشيم شخصيتنا وتشويه صور حياتنا وقيمنا، وتؤدي إلى إنهاك المجتمع وتفتيته إلى كيانات هزيلة ومعتلات مذهبية متصارعة.. وفي ظلِّ ما تتعرَّضُ له أمُّنا من حربٍ على وجودها ومن هيمنةٍ على تراثها وحكوماتها... ما أحوَجنا اليوم إلى الثقافة القومية الاجتماعية الأصيلة التي تقدِّمها نهضتُّنا العظيمة، الثقافة التي تراهن على إرادة الحياة في شعبنا وعلى النفوس المؤمنة والواثقة بقدراتها وبما يخترن فيها من خيرٍ وحقٍّ وجمالٍ وإبداعٍ.

ما أحوَجنا اليوم إلى الثقافة القومية الاجتماعية في مواجهة حرب التجويع والتبئيس والغزو الثقافي والفكري والإعلامي الذي هو أخطر بكثير من الغزو العسكري، لأنَّ غابته هي احتلال العقول وإحداث الهزيمة في نفوسنا، لتجعل منا شعباً مستسلماً للإرادتين الدولية والصهيونية وراضخاً لمشينتهما...

عن هذه الثقافة القومية الاجتماعية الأصيلة المعيرة عن حقيقة هويتنا القومية الحضارية، وتراثنا الغني بالمآثر والإنجازات، الثقافة المتمسكة بحقوقنا وسيادتنا القومية على كامل وطننا السوري، يحدثنا اليوم حضرة الأمين أحمد أصفهاني الجليل الاحترام.

أهلاً بكم في ندوة اليوم المميزة بموضوعها الثقافي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرنا القومي الاجتماعي وغاية حزننا السامية، والذي يعود بنا إلى حقيقة الحزب السوري القومي الاجتماعي الكامنة في عقيدته القومية الاجتماعية الصحيحة التي وصفها سعادته بأنها عقيدة ثقافية بالدرجة الأولى، كما هي عقيدة اجتماعية واقتصادية وسياسية.. مؤكداً في مناسبات عديدة على أهمية الثقافة التي تشكل ناحية أساسية من نواحي عملنا، وعلى اهتمامه الكبير بشؤونها لأن الثقافة، كما يقول في رسالته له إلى غسان تويني، هي "من أقوى أعماله وأغراض رسالته".

الثقافة هي شأن اجتماعي حضاري يعكس هوية الأمة وتاريخها وتراثها، وهي فعل تنويري وتغيير غايته الارتقاء بالفكر والمجتمع، وصولاً إلى حياة أفضل وأجمل. ويمكن توظيف الثقافة في خدمة الأهداف والمطامح النبيلة كالتربية والتنوير ومحاربة الجهل والردائل والقبائح، وإحياء المناقب وترقية المجتمع، والسعي لإقامة الحياة الجميلة. لذلك يقول سعادته إن "قصد الثقافة أو التربية هو دائماً تقويم العوجاج وتوجيه قوى الحياة نحو الأفضل".¹

نحن، كما تعلمون، (وأقصد الشعب السوري بشكل عام، وليس القوميين الاجتماعيين) غرقى في بحور الثقافات السلبية الرائجة في

مادة المحاضرة التي قدّمها الأمين أحمد أصفهاني في الندوة المركزية بتاريخ 7 تشرين الأول 2022

ونجد عند أنطون سعادته، مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي وزعيمه، هذه الطرق الثلاث (هنا بعض الأمثلة): أدخل كلمة "إنترناسيونية" بمعنى العالمية. نحت مفردة "المدرجية" من كلمتين - المادة والروح. وأعطى مضامين ومدلولات حديثة لمفردات سائدة مثل المجتمع، المتحد، الأمة، الوجدان، المثل، المناقب... وغيرها. ولذلك نراه يُشدد على أهمية التعيين كشرط أساسي للوضوح. ونحن سننطلق من هذه القاعدة في حديثنا عن الثقافة القومية الاجتماعية.

اللغة كائن حي، تمر في حالات تغيير متواصلة. والتغيير يحدث بطرق عدة منها:

- إدخال مفردات جديدة لمواكبة التطورات المختلفة.
- نحت مفردات جديدة من كلمات مستعملة.
- تحميل المفردات الموجودة مضامين ومفاهيم مختلفة تعبر عن أفكار جديدة.

¹ أنطون سعادته، الإسلام في رسالته، الطبعة الرابعة 1977، ص 73.

عندما نطرح موضوع "الثقافة" نخطر على أذهاننا فوراً ثلاثة عناصر أولية مترابطة: النهضة — الثقافة — الحضارة. ولكل منها مفهوم أو مضمون معين في الفكر القومي الاجتماعي. ونحن نقترح إجراء مقارنة سريعة مع المفاهيم الأجنبية لتلك العناصر، نظراً إلى أن مرحلة التنوير والنهوض في سورية والعالم العربي كانت متأثرة إلى حد بعيد بصدمة الاحتكاك مع الغرب خلال الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام بين 1789 و1802.

Renaissance أصلها إيطالي Rinascita تعريبها: النهضة، وتعني بالأجنبية "الولادة من جديد"، "إحياء". انطلقت من إيطاليا في القرن الرابع عشر وتوسعت في القرن الخامس عشر، وانتشرت في أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. وتوصف بأنها الانتقال من القرون الوسطى إلى العصر الحديث.

Culture وهي تعني بالأجنبية: الثقافة / الحضارة. وتم استعمال هذه الكلمة في زمن الرومان كإشارة إلى تمهيد العقول لزراعة الأفكار الجديدة، ومن هنا جاءت كلمة الزراعة Agriculture. وهي توصف بأنها اكتمال الهيئات أو المؤسسات الاجتماعية، والحكم المدني، والقوانين العادلة، وأنماط الحياة، وتوفير الأمن في الداخل والخارج. ويصنفها بعض الباحثين إلى قسمين:

- العادات والتقاليد والأفكار والأعراف والقوانين لشعب من الشعوب.
- الموسيقى والفنون والآداب والمعتقدات الروحية والمادية... إلخ.¹

والآن ننتقل إلى المفردات العربية وما تقدمه لنا من مفاهيم أو مضامين، لأنها بذلك تعكس آليات التفكير في أمتنا والعالم العربي.

النهضة: مشتقة من الفعل نهض، أي القيام أو الحركة من المكان. وجرى العرف على تحديدها بلحظة الاصطدام مع الغرب. وقد أجبر هذا التحدي الغربي المفكرين في العالم العربي (تحديداً مصر وسورية) على النظر في أوضاعهم وتراثهم بهدف تغيير واقعهم المزري. فكانت النتيجة أنهم لم يتوصلوا إلى رؤية موحدة لطبيعة مشاكلهم وكيفية معالجتها. كما أن عودتهم إلى التراث، على غرار الأوروبيين الذين نهلوا من الموروث الإغريقي — الروماني، اقتصر عند غالبيتهم على التراث الإسلامي — العربي. وكان من جراء ذلك أن حدثت قطيعة معرفية وزمنية بين الأمة السورية (وكذلك مصر) وبين تاريخها الذي يتجاوز الفتح الإسلامي بما لا يقل عن 3000 سنة!

احتل مفهوم النهضة مكانة مركزية في تفكير سعادته، إذ نصت غاية الحزب السوري القومي الاجتماعي على "بعث نهضة سورية قومية اجتماعية". وفي رسالته إلى المحامي حميد فرنجية بتاريخ 10 كانون الأول 1935 يقول: "وجدت أن لا بد لي من إيجاد وسائل تؤمن حماية النهضة القومية الجديدة في سيرها. ومن هنا نشأت في فكرة إنشاء حزب

سري..."². فالحزب بحد ذاته وسيلة لحماية النهضة، ونضاله يجب أن يكون في هذا الاتجاه. وإذا توقف الحزب، أو عجز عن أن يكون فاعلاً من أجل النهضة فلا مجال لاعتباره الحزب الذي أراده سعادته.

ونجد في كتابات سعادته كثيراً من الشروح والمدلولات حول مفهوم النهضة وطبيعتها، لكننا اخترنا التعريف التالي من محاضراته في مؤتمر المدرسين (تموز — آب 1948): "النهضة السورية القومية الاجتماعية تعني تغيير اتجاه الأمة السورية من فوضى الانحطاط إلى نظام النهوض. من مصير الاضمحلال إلى مصير الوجود الحي، العامل، بوعي كامل، لأغراض الحياة الجديدة ومقاصد النفس الكبرى"³. ولكي نفهم طبيعة النهضة السورية القومية الاجتماعية، علينا دراسة وتوضيح "التعابير في ثقافتنا القومية الجديدة". وفي حال تلكونا في العناية بهذا الجانب "فالعقيدة السورية القومية وقواها الروحية تتعرض للبلبل والميعان وتفقد فاعليتها ووحدة روحيتها"⁴. وهذا يعني أن التبحر في الثقافة القومية الاجتماعية يُرسي قاعدة متينة لتأسيس نهضة الأمة السورية.

الحضارة: مصدرها حضر، وتعني الإقامة في الحضر أو الانتقال من حالة البداوة إلى الاستقرار المدني. ومن المفردات المناقضة لها: البداوة، الانحطاط، الهمجية، التخلف، التقهقر، التراجع... إلخ. وتوصف بأنها المركب الذي يجمع بداخله كل المعتقدات والقيم والتقاليد والعلوم والفنون والسلوكيات. وحسب الاشتقاق اللغوي، فإن الانتقال من طور البداوة والترحال إلى طور الاستقرار يُشكل الخطوة الأولى نحو "الحضارة". والمؤشر الحقيقي لهذا التغيير "الحضاري" يكمن في الثقافة الجديدة.

الثقافة: تعطينا معاجم اللغة العربية شروحات عدة لمعنى الثقافة ومشتقاتها. لكن ما تم التوافق عليه هو التالي (حسب "معجم المعاني الجامع"): المصدر هو الفعل **ثَقَّفَ**، **ثَقَّفَ يَثْقِفُ**، **ثَقَّفَ يَثْقِفُ**، فهو **مُثَقَّفٌ**، والمفعول **مُنْتَقَفٌ**. **ثَقَّفَ الشَّيْءَ**: أقام المَعْوَجَّ منه وسَوَّاه. **ثَقَّفَ الإنسان**: أدبه وهذبه وعَلَّمَهُ. **ثَقَّفَ المَعْوَجَّ**: سَوَّاه وقَوَّمَهُ. **ثَقَّفَ الأخلاق**: أصلح السلوك والآداب.

هذا من حيث اللغة، أما من حيث المفهوم فتمة تعريفات متنوعة نقترح تكييفها على الشكل التالي: **الثقافة هي مجموع المعارف والفنون والعلوم التي يكتسبها شعب أو مجتمع معين على مر الزمن. فهي تتضمن الأفكار والقيم والتقاليد الاجتماعية والمعتقدات والمؤسسات، وتنتقل من جيل إلى آخر لتصبح إراثاً اجتماعياً يصل إلى الأفراد من خلال المجتمع.** وتتمظهر الثقافة في أنماط حياة المجتمع برمته، لتشمل الأعراف والأزياء واللغة والدين. كما أن الثقافة تعتبر وسيلة لتحسين وضع الإنسان من خلال مواكبتها للمتغيرات الحاصلة محلياً وعالمياً.

لاحظنا أعلاه أن كلمة Culture تُترجم إلى العربية — "الحضارة / الثقافة". وإذا ما دققنا في الصياغات اللغوية، سيبين لنا أن "الثقافة"

³ الأعمال الكاملة - الجزء الثامن،"، صفحة 226.

⁴ الأعمال الكاملة - الجزء التاسع،"، صفحة 106.

¹ مواقع مختلفة على الإنترنت، ومعاجم بلغات عدة.

² الأعمال الكاملة - الجزء الثاني،"، صفحة 10.

السورية الثقافية في جميع المهاجر القومية، إذ أن الثقافة ناحية أساسية من نواحي عملنا. وأنا لا أقصد من ذلك مجرد ستر الحركة ووقايتها، بل تنشيط العمل الثقافي الذي هو في أساس جميع أعمالنا الأخرى⁷.

ويكرر سعادته في مناسبات مختلفة عبارة "ثقافتنا القومية الجديدة"، ما يعني منطقياً وجود "ثقافة قومية عتيقة"، وهما على طرفي نقيض. ويعلم رفضه لأي تضارب نظري في هذا المجال. وهذا الموقف يتكامل مع عمله من أجل نشوء روح جديدة في الأمة تجدد حياتها وتقوي حيويتها وتتصرها على عوامل الخمول والجمود. ومن الواضح في سياق قراءتنا لسعادته أن "الروح الجديدة في الأمة" هي أحد تجليات الثقافة القومية عند مختلف الأمم.

ثقافات على عدد الأمم

لكل أمة ثقافة خاصة بها، تميّزها عن بقية الأمم وتسبغ على شعبها صفات معينة تكوّنت على مدى التاريخ لتصبح لبنة أساسية في شخصيتها القومية. وهذا لا يعني أن كل أمة تعيش بمعزل عن الأمم الأخرى، إذ من الطبيعي أن تظهر ملامح ثقافية مشتركة بين الأمم، خصوصاً في عصرنا الراهن حيث يُوصف العالم بأنه "قرية صغيرة". وتزداد الملامح المشتركة بقدر اقتراب الأمم من بعضها جغرافياً، أو لوجود مدى حيوي يشمل أمتين أو أكثر. ومع ذلك فإن المظاهر الثقافية المشتركة تظل قليلة وغير حاسمة مقارنة بالروح الثقافية العامة، لأن "حقيقة الأمة تبقى في روحها، في أفكارها العامة وشعورها العام". ومع أن سعادته يشير إلى بعض التباين، لكنه يضيف: "أما الأمم فلا تتميز إلا بروحياتها وحياتها وتقاليدها التي هي نتيجة العمل العقلي ومجرى الفكر"⁸.

ذكرنا أعلاه أن الثقافة هوية، أي أنها جزء محوري من مكونات الشخصية القومية لكل أمة. وقلنا أيضاً إنها تؤدي دوراً حيوياً في عملية تغيير المجتمع نحو الأفضل والأجمل والأسمى. وبما أنها نتاج اجتماعي، فهي عرضة لتقلبات الأوضاع الاجتماعية سلباً أو إيجاباً. وبهذا قد تصبح إحدى المراحل الثقافية منارة للأمة، أو قد تبقى مرآة لها. وفي الحالة الثانية، سنواجه نزعات ثقافية سلبية، ترسخ الفوضى الفكرية في بلادنا وتزيد البلبلة والتشردم بين أبناء شعبنا.

لقد بلغ الواقع الثقافي الراهن في سورية درجة خطيرة من الانحدار والتشتت. ونحن لا نخجل من الاعتراف بأن عوارض هذه "الثقافة السلبية" أصابت بعض القوميين الاجتماعيين، وإن بشكل محدود. إن هذه الوضعية السيئة هي نتاج متوقع للتدهور الحاصل على كل المستويات في الوطن السوري. إلا أنها لم تصل بعد إلى نقطة اللاعودة، فما زلنا قادرين على التصدي لكل النزعات الهادفة إلى تدمير ثقافتنا القومية اعتماداً على ما نملك من وعي عقائدي وموروث حضاري تاريخي وخبرات راكمها القوميون منذ 1932 وحتى اليوم.

تختص بالفرد إجمالاً. في حين أن "الحضارة" هي صفة الجماعة المنقلة من طور أدنى إلى طور أسمى وأرفع. وهما تكملان بعضهما بعضاً، فتنشأ علاقة تفاعلية بحيث تصبح "الثقافة" العنصر الأول في "الحضارة". ولا بد من ملاحظة أخيرة هنا: "الثقافة" قد تكون لفرد أو لجماعة... لكن "الحضارة" لا تُطلق صفة إلا على المجتمع.

ومع أن سعادته أعلن في خطاب الكورة سنة 1937 بوضوح: "نحن عقيدة ثقافية اجتماعية اقتصادية سياسية، نعمل لهذا المجتمع لتوحيده من جميع الوجوه"⁵، فهو يستخدم أيضاً المعنى المتعارف عليه لغوياً: "الرمح المثقف هو الأصلح للحرب من الرمح الأعوج. وقصد الثقافة أو التربية هو دائماً تقويم الأعوجاج وتوجيه قوى الحياة نحو الأفضل"⁶.

وتحتل الثقافة في فكر سعادته مكانة متقدمة جداً في تكوين الوجدان القومي الجمعي، بل هي العنصر الأكثر تأثيراً في نشوء الوعي القومي الذي يضعنا على الطريق الصحيح كي نصبح أمة واحدة حية ذات حضارة راقية.

الثقافة صنو الهوية

وعلى هذا الأساس فإن للثقافة هوية قومية واضحة، لأنها تحمل طابع وصفات الشعب الذي يمارسها. وهي نتاج المتحد الاجتماعي بقدر ما هي عنصر حيوي في بناء الوجدان القومي المتنامي عبر الأجيال. وفي الوقت نفسه تكون لها امتدادات عالمية، فتلتقي مع ثقافات أخرى في جوانب معينة لكنها تحافظ على تمايزها الخاص. وقد يكون العمل الثقافي من إبداع فرد أو مجموعة، غير أنه لا يصبح "ثقافة" بالمطلق إلا إذا استهدف المتحد الاجتماعي كله. وفي هذه الحالة ستؤدي الثقافة مهمتين متلازمتين: إحداث التغيير الاجتماعي في الزمن الحاضر، وربط هذا التغيير بالخطوط العامة للحضارات المتنوعة عبر العصور.

ومن هذا المنطلق نفهم المبدأ الأساسي السابع من مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي: "تستمد النهضة السورية القومية الاجتماعية روحها من مواهب الأمة السورية وتاريخها الثقافي السياسي القومي". وأهميته أنه يعيد وصل راهنية الثقافة القومية ومستقبلها بالتاريخ الحضاري للأمة السورية. ويقدر ما نتلمس الخطوط الكبرى للحضارة السورية على مدى العصور، ونؤسس عليها قيم الحق والخير والجمال، نكون قد أطلقنا تياراً إبداعياً مميزاً في المجتمع السوري.

لكن يتوجب علينا أن نفرّق بين المتعلم والمتقف، فليس كل متعلم متقفاً بالضرورة. وعلى هذا الأساس نتحدث عن: ثقافة عمومية تتكون بالاطلاع السطحي المتنوع، وثقافة قومية اجتماعية راسخة تلعب دوراً حيوياً في حركة النهضة القومية. وقد شدّد سعادته منذ سنوات التأسيس المبكرة على مركزية الثقافة في العمل الحزبي. ووصف عقيدته بأنها "ثقافية اجتماعية اقتصادية سياسية". وهو لم يضع صفة "ثقافية" قبل الصفات الثلاث الأخرى جزافاً. ففي رسالة إلى وليم بحليس بتاريخ 14 آب 1940 يقول مجدداً: "إني قد عزمت على تعميم إنشاء الجمعيات

⁷ الأعمال الكاملة، الجزء التاسع،"، صفحة 304.

⁸ الأعمال الكاملة، الجزء الأول،"، صفحة 453 - 455.

⁵ الأعمال الكاملة - الجزء الثاني،"، صفحة 141.

⁶ الأعمال الكاملة - الجزء الخامس،"، صفحة 135.

نحن نلاحظ الآن ضياعاً في التوجهات واختلاطاً في المفاهيم. وهنا تبدأ مسؤولية الثقافة القومية الاجتماعية، الناشئة عن نظرة جديدة إلى الحياة والكون والفن. ولا وجود لهذه الثقافة خارج العقيدة القومية الاجتماعية، فمن قواعدها تنمو وفي رحابها تزدهر. ولكي نتجاوز واقع التراجع الراهن، فإن مهمتنا الأولى تكمن في التثقيف بالعقيدة واستيعاب مضامينها وتوظيف منهجها في تناولنا لكل الشؤون السورية، خصوصاً الثقافة الجديدة. والقاعدة الذهبية التي تشرّع أمامنا أبواب البحث والدراسة هي: "التعيين شرط الوضوح".

العقيدة أداة تثقيف

إن التثقيف بالعقيدة القومية الاجتماعية يُشكل، بالنسبة لنا، الإنجاز التمهيدي الذي يُطلقنا باتجاه نشوء ثقافة سورية جديدة. علينا أن نبدأ في مؤسساتنا الحزبية، مع القوميين الاجتماعيين والمواطنين المقربين. وعندما يتحقق الوعي العقائدي في صفوفنا، سيكون من السهل نشر الثقافة الجديدة في الأوساط السورية النابضة. وبهذه الآلية نخلق ثقافتنا التي هي ثقافة الأمة، ونتطلع إلى المستقبل من دون أن نُحدث قطيعة معرفية مع خطوط الفكر السوري الحضاري بأبعاده التاريخية.

وبما أننا لا ننشط وحدنا في كيانات الأمة، فالصدام مع قوى الرجعة والتخلف والعرقية والطائفية مسألة حتمية. إن الثقافات غير القومية

تتكاثر بقدر ما تتكاثر النزعات التقنيتية في أوساط الشعب. ويصف بعض الباحثين هذا النوع بعبارة "الثقافة المضادة"، التي غالباً ما تكون مرتبطة بالمصالح الخارجية. يُنقل عن وزير الخارجية الأمريكي كورديل هال Cordell Hull (بين 1933 و1944) قوله: "إذا أردت أن تُلغي شعباً، تبدأ بشل ذاكرته، ثم تشوه ثقافته وتجعله يبنى ثقافة أخرى غير ثقافته، ثم تلفق له تاريخاً غير تاريخه وتعلمه إياه (...). عندئذ ينسى هذا الشعب من هو ومن كان، وتندثر معالم حضارته، وبالتالي ينساه العالم ويصبح مثل الأمم المنقرضة".

ولذلك لا يمكننا أن نبني الثقافة القومية الجديدة، إلا من خلال التعمق بالعقيدة القومية الاجتماعية والانطلاق بها إلى الأمام ونحو الأعلى. إننا مطالبون بمهمة مزدوجة: بناء الثقافة الجديدة التي يحملها إنسان من قبلي جديد، وهدم الثقافات اللاقومية المضادة داخلياً وخارجياً: "في الصراع المميت بيننا وبين قوات التوحش لا نشك في أن قوتنا الروحية المتمدنة العظيمة ستسحق التوحش وغدره ولؤمه سحقاً تاماً كاملاً"⁹.

* الأمين أحمد أصفهاني كاتب وإعلامي ومحلل. يقيم حالياً في لندن

تعقيب على محاضرة نظرة قومية اجتماعية في مفهوم الثقافة

بقلم الرفيق الدكتور لؤي زيتوني

وكيل عميد الثقافة والفنون الجميلة



أنطون سعاده على هذا الحراك العلمي المستجد آنذاك، والإفادة منه في أطروحته. ولنا في ذلك مثال واضح يرتبط باستخدامه لمصطلح "المعرفة" ضمن مقولته الشهيرة "المجتمع معرفة والمعرفة قوة"، وانسجامه مع ما تقدمه المقولة السقراطية "أيها الإنسان، إعرف نفسك بنفسك" (سقراط).

ولعل هذا ما يفسح في المجال أمام التطرق إلى تماسك الفكر القومي الاجتماعي، لأن أساسه الرؤية الثقافية التي ينبثق عنها المنهج العقلي الذي اتخذ سعاده، والذي يؤدي إلى التعيين بوصفه شرط الوضوح. وفي هذا يمكننا اللجوء إلى المقولة التي أوردناها آنفاً، وأعني: "المجتمع معرفة والمعرفة قوة"، بصفته مؤشراً على ذلك التماسك. إذ يبدو لنا تركيزه على مفهوم المعرفة، واستخدامه لهذا المصطلح بالتحديد، لا لبدل منه، لكونه لا يتوقف على مجرد العلم بالشئ في المنحى الشكلي للكلمة، بل يتعداه ليجعل المفهوم بطل الإدراك والسلوك في آن، ما يعني الاشتمال

من المؤكد بالنسبة إلى القارئ لفكر سعاده أن المنطلق الثقافي والفعل الثقافي أمر محوري في نهضته وحزبه، وقد أوضح حضرة الأمين أصفهاني ذلك في كلامه، محيطاً بمجموعة من المفصلات الرئيسية والحاسمة في هذا المجال. غير أنه يمكننا أن نعقب على بعض النقاط في محاضرته، لنلقي الضوء على جوانب إضافية من مسألة محورية الثقافة لدى سعاده.

في البداية، يمكن أن نشير إلى المفاهيم والمصطلحات التي أدخلها سعاده، وهي مسألة لا تتفصل عن الأساس الثقافي؛ إذ أننا، بالإضافة إلى ما أورده حضرة الأمين، نقع على جانب الدقة في إيراد المصطلحات وتحديد المفاهيم المرتبطة بها، وهذا ما نرجح أنه لم يكن من قبيل الصدفة، إذ أن إطلاق فكره القومي الاجتماعي أتى بالتزامن مع تطور علم المصطلح في العالم، خصوصاً ما نعرفه عن التأسيس الفعلي لعلم المصطلح الحديث في فيينا، على يد يوجين فوستر Eugene Wüster (1898 - 1977)، وذلك في العام 1931؛ إضافة إلى تشكيل "اللجنة التقنية للمصطلحات" في الاتحاد السوفياتي سنة 1936. ما يعني احتمالية اطلاع

⁹ أنطون سعاده، ترويسة الصفحة الأولى من جريدة "الزوجة" العدد 67، تاريخ أول تشرين الأول 1943.

على جانبي (الثقافة والحضارة) معاً، وبالتالي ندخل في مسارٍ مدرحي متكامل في التفكير.

وهنا تغدو المقولة الشهيرة الأخرى لدى سعادته: "العقل هو الشرع الأعلى" أكبر من مجرد شعار، بل تصبح أكثر وضوحاً وأكثر ارتباطاً بالمنحى الثقافي، لكون العقل لا يكون إلا عبر استناده إلى المعرفة، بدرجة مباشرة، وبالتالي إلى المجتمع الذي يعني خضوع العقل إلى خطط النفس السورية ومحدداتها.

وعليه، يمكننا أن نتكلم على ما جاء به حضرة الأمين في ما يتعلق بالربط بين الهوية والثقافة، وهذا أيضاً أمر محوري في الفكر القومي الاجتماعي، إذ أنّ طبيعة المنهج التفكيرية لدى سعادته ترتبط حكماً بإحداث فاعلية داخل الأمة تتماشى مع الطبيعة الخاصة بخطط النفس السورية، وبالتالي تستند إلى مواهب الأمة وروحيتها، وهنا نقرأ:

"... فالأمة السورية أمة عريقة في الثقافة والتمدن، أمة خصبة النفس، متحركة العقل - أمة شديدة الإحساس بالقضايا العميقة في الحياة. لذلك كانت نهضتها أمراً يختص بصميم طبيعتها ومواهبها المؤهلة لفاعلية عظيمة، فالأمور المفروضة فرضاً بدون تأسيس في نفسية الأمة لا يمكن أن توصل الأمة إلى غايتها العظمى". (الأمة تريد نهضة لا حلة - الجيل الجديد - 16 نيسان 1949).

وقد يكون في هذا الكلام إشارة واضحة إلى أنّ الثقافة لا يمكن أن تكون مستندة إلى التخيل، أو المفروض على المجتمع فرضاً، بل على ما هو منسجم مع روحيتها وخطط نفسيتها. ولعلنا نجد في أمثلة سعادته حول الثقافات الزراعية المتعاقبة: (المعزق ← المحراث ← البستان) أبرز دليل على أنّ الجماعات تكون ثقافتها المنسجمة مع بيئتها ونفسيتها. لذلك فإنّ النهضة السورية القومية الاجتماعية أتت منسجمة مع طبيعة هذه النفسية وهذه البيئة.

أما الفكرة الأساسية الأخرى التي يؤكد عليها حضرة الأمين، فتكمن في خضوع ثقافة المجتمع للثقافات الاجتماعية السلبية أو الإيجابية، ما قد يجعل بعض المراحل الثقافية منارةً لأمة، وبعضها الآخر مرآةً فحسب. وهذا ما يدخل منه حضرة الأمين لينقد الثقافة المعاصرة في مجتمعنا، لكونها تقع في معظمها ضمن المنحى السلبي، ما لا يخدم حياة الأمة

وقدرتها على التطور. وهنا يأتي دور النهضة السورية القومية الاجتماعية لتصويب البوصلة الخاصة بثقافة الأمة، وإعادة بناء تلك الثقافة. لكن هذا يعني أنّ الدور الملقى على عاتق الحزب اليوم، كما في أي وقتٍ آخر، يقع ضمن الإطار الثقافي، وضمن إطار إرساء رؤية ثقافية واضحة وأصلية، ما يعني مسؤولية كبرى في البناء الثقافي الداخلي قبل كل شيء، كما يوضح سعادته نفسه بالقول:

"إن الثقافة ناحية أساسية من نواحي عملنا. وأنا لا أقصد من ذلك مجرد ستر الحركة ووقايتها، بل تنشيط العمل التنقيفي الذي هو في أساس جميع أعمالنا الأخرى" (الأعمال الكاملة، الجزء التاسع، ص304)

انطلاقاً من ذلك، لا بد لنا من الإشارة إلى ملاحظة أساسية تتجلى في محور الثقافة القومية الاجتماعية حول مسألة "الجدّة" أو "الجديد": المجتمع الجديد، الجيل الجديد، الإنسان الجديد، النظرة الفلسفية الجديدة... وهذا ما يشير إلى أنّ الرؤية الثقافية التي تنطلق منها مؤسسة على التغيير والتجديد، ولا يمكن أن تكون متقبلةً للواقع الفاسد، وإلا لما كان هناك مبرر لوجود الحزب في الأساس. وهذا ما ينسحب على الواقع الثقافي السائد بالنتيجة، إذ أنّ القومي الاجتماعي لا يقبل بالأمر الواقع المفعل، بل يفعل فيه لبني الجديد المرتكز إلى الثقافة = المعرفة وانسجامها مع نظرة أصلية إلى الحياة والكون والفن.

وقد يكون لنا في قصيدة "الجسر" للشاعر القومي خليل حاوي، أبرز مثالٍ على هذا الصراع ضد عوامل الرجعية والتخلف داخل المجتمع، وعلى هذا الدور الذي تنتكبه النهضة، كما تنكبه سعادته من قبل.

في الخلاصة، إنّ المنحى الثقافي ليس مسألةً عابرة في الحزب السوري القومي الاجتماعي، بل مسألة أصلية تدخل في أساس نهضته؛ عليه، فإنّ منطلقه يتجلى بالنظرة الجديدة، وفعله يتجلى في إحداث التغيير داخل المجتمع بعد أن يكون قد أحدث هذا التغيير في نفوس أفرادهم وروحيتهم الواحدة. وفي هذا صراعٍ لطالما انتصرت فيه العقيدة القومية الاجتماعية، وهي تستمر حتى تواصل صراعاها من أجل الانتصار في إنقاذ الأمة من برائن التخلف.

صوت سعادته

إنّ القضية الأولى التي تواجه العقيدة القومية الاجتماعية هي قضية التربية والتنقيف، - قضية الصراع المميت بين تاريخ حديث وتواريخ دخيلة مستمرة - قضية الصراع الفاصل بين نفسية فتية تنظر إلى الحياة والكون والفن نظرة جديدة ونفسيات شائخة اعتادت النظر إلى شؤون الحياة والكون ضمن الحدود المغلقة التي تكونت فيها. فقضية الصراع العقائدي الذي أثارته الحركة السورية القومية الاجتماعية بتعاليمها الجديدة هي قضية صراع ثقافي تعليمي بين مبادئ الحياة الجديدة ومبادئ الحياة الجامدة.

إنّ أخذنا الصراع من درجة المخرجين والمتفقين في المدارس الدينية السياسية والمدارس الأجنبية الذين تكونت نفسياتهم قد تكونت ضمن عوامل مدارسهم وبيئاتهم الاجتماعية، يقيناً، يقيناً، خارج صلب المعركة العقائدية. إنّ صلب المعركة ليس مع الذين انتهى تكوينهم النفسي على خطط منافية للعقيدة القومية الاجتماعية وللنفسية التي تتطلبها، بل في العمل مع الذين هم في طور التكوين النفسي، إنّ صلب المعركة هو في تنقيف نفسية الأحداث ومعارفهم في البيت وفي المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية. وتستمر المعركة العقائدية ما وراء ذلك. (سعادته في مؤتمر المدرسين 1948)

الترسيم وسلاح النفط

بقلم الأمين الدكتور جهاد نصري العقل*



الحدود بين "دولة لبنان" صاحبة الحقّ ... و "دولة العدو" اليهودي المغتصبة، أرضا لا حقّ لها فيها، ولا سيادة لها عليها لا في البر ولا في البحر. فهي دولة باطلة وما بني على الباطل هو باطل ومخالف للقوانين والأنظمة وللمبادئ الأخلاقية الإنسانية. وإذا كان ترسيم الحدود البرية بين دولتين إحداهما عدوة باطلا من الناحية الحقوقية، وإذا كانت هذه الحدود وهمية، وغير موجودة أصلا بالمنطق الدستوري العام فالنتيجة الحتمية هي بطلان هذا الترسيم الذي لا يصلح في مثل هذه الحالة على أرض يابسة صلبة، فكيف يصلح على أرض سائلة متحركة متمازجة مياهها وثرواتها، وما يقال عن الترسيم في البر والبحر ينطبق على الترسيم في الأجواء الفضائية. إنّ الحدود الوهمية، المتفصلة بين كيانات الأمة الواحدة هي باطلة، فكيف إذا كان ترسيمها مشتركا مع كيان عدائي مغتصب، يفتقد إلى مقومات الكيان الحقوقي.

إنّ الظروف العامة التي يتمّ فيها اليوم التوقيع على معاهدة الترسيم هي مشابهة للظروف التي وقعت فيها معاهدة التابلاين منذ أكثر من سبعين عاما، فهي:

أولاً: على الصعيد الدولي:

تأتي هذه المعاهدة في وقت تشتعل فيه الحرب بين أوكرانيا وروسيا وانقسام الدول العظمى بين معسكرين متنازعين؛ الولايات المتحدة، فرنسا وبريطانيا في مواجهة روسيا. وفي مقدمة مصالح هذه الدول الصراع على النفط ومنابعه وطرق إمداداته .

وكان من أبرز تداعيات الحرب العالمية الثانية وهزيمة ألمانيا والصراع عليها، انقسام الحلفاء بين معسكرين متنازعين: الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا من جهة في مواجهة ألمانيا وحصارها وتقسيمها. والقاسم المشترك بين الحالتين كان النزاع على المصالح الحيوية، وفي مقدمتها مصادر الطاقة. وفي هذا الوقت بالذات وقعت اتفاقية التابلاين، خدمة لمصالح الدول التي كانت بالأمس متحالفة ضد ألمانيا، وفي مقدمتها الولايات المتحدة.

ثانياً: على الصعيد الاقتصادي:

للعبارة: لماذا أصرّ حبيب أبو شهلا، الوزير في حكومة أول عهد ساقط من صنع الاستعمار، على تصديق اغتيال سعادته ليل الثامن من تموز عام 1949؟ الجواب: بكلّ بساطة لأنّه كان "محميا"، متعيشا في شركة التابلاين الأميركية، ولأنّ سعادته فضح في مقالة له في 19 أيار 1949 خطورة ما تضمنته "اتفاقية التابلاين" على مصلحة الأمة السورية! ودعا القوميين الاجتماعيين إلى مواجهة المعتدين على حقوقنا القومية.

اليوم، نحن أمام مصطلح سياسي عدائي خطير: " ترسيم الحدود"، الذي هو الوجه البحري الآخر لترسيم الحدود البرية، في معاهدة سايكس-بيكو السيئة الذكر، ولواحقها، التي جرّت كلّ هذا الويل على شعبنا السوري في مختلف كياناته المصطنعة المشوّهة في دهاليز ما يسمى بالأمم المتحدة ومنظماتها المعادية لحقنا القومي في وطننا وثوراتنا الطبيعية.

الترسيم، لغويا، هو تعيين الحدود بين جارين، في حيّ صغير، في مدينة كبرى، أو بين دولتين ذات سيادة حقيقية، أو بين دولتين، إحداهما مغلوبة على أمرها، وهي الأقرب إلى واقعنا المرير .

إنّ أمر الحدود بين الدول، وفق النظريات في القانون الدستوري العام، تختصر في ثلاثة: الحدود الطبيعية، والاستراتيجية، القومية. في بيئة الهلال السوري الخصيب تتكامل هذه الحدود، فهي طبيعية واستراتيجية وقومية.

وما نريد أن نقوله في شأن مصطلح ترسيم الحدود، في الاتفاقية الأخيرة، وما يخطط له في اتفاقيتين لاحقتين بين كلّ من الكيانين السوريين: قبرص والشام، لا يمت بصلة علمية، أو قانونية، أو حقوقية أو واقعية بين أي مفهوم للحدود، وهذا يدركه أبسط بانعي الصحف والعامّة عندنا. لماذا؟ لأنّ الفواصل، وليس الحدود بين مختلف كيانات الأمة السورية المصطنعة، هي عبارة عن خطوط وهمية، واهية سياسية مفروضة، وبذلك تقرّ معظم الاتفاقية الدولية الخاصة بهذا الواقع السياسي المفتعل. من جهة أخرى ترسيم الحدود كما مرّ معنا، يكون بين جارين صديقين أصحاب حقّ فيما يملكون، وأصحاب أدب وسلام واحترام لحقوق الجار. وهذا المعنى لا يتوقّف أبدا في ترسيم

السورية"، وتعطيل ميناء الزهراني النفطي في جنوب لبنان، لمصلحة الموائى النفطية اليهودية .

لقد فاحت "روائح الرشوة والعمالة" من جراء توقيع اتفاقية التابلاين، على حدّ تعبير أحد نواب "البرلمان السوري" الذي رفض التوقيع على هذه المعاهدة المذلة الذي كان حسني الزعيم عرابها. وحتى لا تفوح، من جديد، نفس هذه الرياح على توقيع معاهدة الترسيم الحالية، على حكام الكيانات السورية في لبنان والشام وقبرص وفلسطين.. المعنيين مباشرة بهذه الاتفاقية أن يتداعوا إلى لقاء قمة تاريخي يتم فيه الإعلان عن موقف موحد وقرار مصيري، مفاده أنّ "إسرائيل" دولة باطلة، لا حقوق لها في أرضنا وثرواتنا، وعليها أن تفكك كياناتها وترحل قطعانها إلى الدول الوافدة منها، وإعادة الأرض المغتصبة إلى سكانها الحقيقيين الأصليين ..

إنّ "إسرائيل" التي ضربت عرض الحائط بالقرارات والمعاهدات الدولية والمحلية كلّها لن تحترم هذه المعاهدة، وستنتهز الفرص لنقضها والمطالبة بالمزيد من المطامع والمكاسب التي لا تنتهي إلا بتحقيق حلمها اليهودي العنصري.

هذا السلاح الإستراتيجي الثمين، أي النفط، يجب أن نحسن استعماله في معركتنا المصيرية الوجودية مع هذا العدو، قبل فوات الأوان. إنّ سلاح النفط هو مكمل لا بل هو أساسي للسلاح الميداني في أي معركة قادمة مع الغزاة الصهاينة. إنّ "إسرائيل" التي أدمنت على خرق المعاهدات على أنواعها، وشنت الحروب العدائية التوسعية، لن تحترم أية اتفاقية جديدة لا مع لبنان، ولا مع غيره من دول كيانات الأمة السورية، المدعوة اليوم وأكثر من أي يوم آخر إلى توحيد خطتها وقرارها وقواها والانتظام في جبهة سياسية - اقتصادية - حربية لمواجهة هذا العدو الذي يهدد حياة الأمة في وجودها ومستقبلها.

* كاتب ومحلل

عندما وقعت الحكومتان الشامية واللبنانية على اتفاقية التابلاين كانتا تعانيان من الضيق الاقتصادي وتفشي البطالة وتدهور قيمة النقد الوطني. فوجدتا فيها منفذا لهذه الأزمة الاقتصادية المالية المعيشية. وما أشبه اليوم بالأمس، فهل التوقيع على اتفاقية الترسيم تنقذ لبنان والشام من ورطتهما الاقتصادية؟ إنّ النظر إلى توقيع اتفاقية الترسيم من ناحية الإفادة المادية فقط، هذا إذا تمت، دون التطلع إلى النواحي الأخرى خصوصا الأمنية والسياسية والمستقبلية هو قصر نظر لا يفيد المصلحة القومية بشيء.

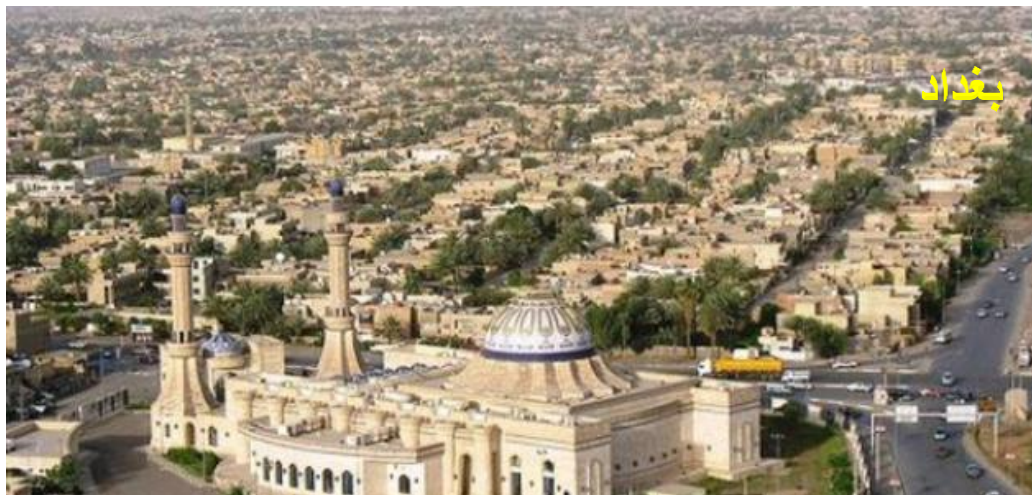
ثالثا: على الصعيد السياسي:

تمّ تصديق اتفاقية التابلاين الأميركية في الوقت الذي كان يتابع فيه مؤتمر لوزان أعماله بصدد "اللاجئين" وتدويل القدس وحدود "إسرائيل"، فلو أدرك الموقعون "العرب" على هذه الاتفاقية أهمية النفط كسلاح إستراتيجي، لما حصدت "إسرائيل" النتائج السياسية لهذه الاتفاقية، فلا عاد اللاجئون، ولم تدوّل القدس، بل أصبحت "عاصمة يهودية"، وبقيت معالم حدودها بلا "حدود" ثابتة. وأصبحت المسألة الفلسطينية، من أساسها في خيالهم.

واليوم، مع ترسيم الحدود البحرية ستزداد إسرائيل شراسة وإرهابا، لاستكمال مشروعها التهودي العنصري الاستيطاني والتوسعي. فهذه الاتفاقية تهمها كثيرا لاقتصادها ولعملياتها العسكرية القادمة، ولاستكمال مشروع حلمها: "حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل!"

رابعاً: على الصعيد العسكري:

إسرائيل هي التي أقدمت على تدمير شبكة التابلاين في عدوان 1967، لإضعاف الاقتصاد "السوري"، الذي كان يتقاضى 50% من صافي المبالغ الناتجة عن مرور شبكة التابلاين في "الأراضي



نشاطات عمدة الثقافة

عمدة الثقافة تُطلق "نادي الكتاب" في صور

والوعي والإرادة للانتقال من الجهل إلى الوضوح والجلاء.

ثم تحدّث وكيل عميد الثقافة عن محتوى كتاب «منارات من الأزمنة الجميلة» المطروح للمناقشة، وعن القيم الأخلاقية، العقائدية والمناقبية التي يقدمها.



كما تحدّث المنفّذ العام عن عمق الكتاب وعن روحية العمل الجماعيّ وذوبان شخصية الفرد في شخصية مجتمعه.

بعدها بدأت مناقشة الكتاب، التي تضمّنت مداخلة عن بعد، لمؤلفه الأمين أحمد أصفهاني حيث سلّط الضوء على بعض جوانبه، وأجاب على الأسئلة المطروحة.

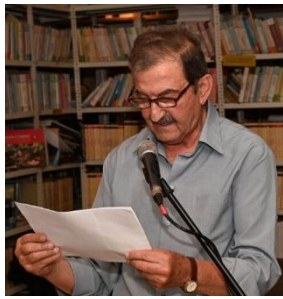
أطلقت عمدة الثقافة والفنون الجميلة في الحزب السوري القومي الاجتماعي «نادي الكتاب» في منقذية صور، من خلال نشاط مناقشة، أقيم بحضور عميد العمل والشؤون الاجتماعية منقذ عام صور الأمين



ناصر أبو خليل، عميد الثقافة الرفيقة فاتن المرّ، وكيل العميد الرفيق لؤي زيتوني، الناموس المساعد في العمدة الرفيقة هالة سببتي، وحشد من الرفقاء.

استهلّ النشاط بكلمة لعميد الثقافة أكدت فيها على أهميّة القراءة التي تثقل المجتمعات بالمعرفة، وتخلق القوة

عمدة الثقافة تستعيد ذكرى مخول قاصوف



ثم ألقى الكاتب والمخرج عبيدو باشا كلمةً حول الأغنية السياسيّة وتاريخها ودور مخول قاصوف الفاعل فيها .

بعدها، شارك الرفيق الباحث جان داية الحاضرين ببعض الذكريات مع الراحل وألقى الضوء على بعض أفكاره النقديّة، عقب ذلك قام الفنّان سامي حواط بارسال تحية غنائية إلى صديقه مخول قاصوف وشريكه في الكثير من الأغاني، ثم تلا الشاعر محمّد صوّان بعض القراءات من قصائد الفنّان .

اختتمت الندوة بأغنيات من أعمال قاصوف ومن بعض أغاني تراثنا الفنّي قدّمتها فرقة «سما العرزال».



ضمن إطار أنشطتها الهادفة إلى تكريم المبدعين القوميين، وإعادة التذكير بإنجازاتهم، أقامت عمدة الثقافة والفنون

الجميلة، مساء الخميس 22 أيلول 2022، ندوة تكريمية عن المبدع الراحل الرفيق مخول قاصوف في قاعة برزخ – الحمراء، وذلك بمشاركة حضور حاشد بينهم شقيقة الفنّان الراحل، إلى جانب عميدة الثقافة والفنون الجميلة الرفيقة فاتن المرّ وعميد التنمية المحليّة الرفيق مكرم غصوب.

انطلقت الندوة بكلمة تعريفية للرفيقة تغريد جعفر حول مخول قاصوف وريادته وأعماله، تبعها عرض فيديو حول الراحل،

عمدة الثقافة تطلق نادي القراءة في منقديّة بعلبك

بدأ النشاط بكلمة للعميدة أكدت فيها على أهميّة القراءة التي تنقل المجتمعات بالمعرفة وتشكّل القوّة والوعي والإرادة من أجل الانتقال من الجهل إلى الوضوح والجلاء.

ثمّ تحدّث الوكيل عن محتوى الكتاب المراد مناقشته «منارات من الأزمنة الجميلة» للأمين أحمد أصفهاني، وعن مجموعة القيم الأخلاقية والعقائدية والمناقبية التي يحتويها الكتاب.

تكلم المنقذ العام عن عمق الكتاب وعن روحية العمل الجماعي وذوبان شخصية الفرد بشخصية مجتمعه.

بعد مناقشة الكتاب تمّ الاتّصال بالأمين أحمد أصفهاني فكانت له مداخلة أجاب خلالها على بعض الأسئلة كما سلّط الضوء على بعض جوانب الكتاب.



أطلقت عمدة الثقافة والفنون الجميلة نادي القراءة في منقديّة بعلبك بحضور عميد الثقافة الرفيقة فاتن المر ووكيل العمدة الرفيق لؤي زيتوني ومنقذ عام بعلبك الرفيق عبده الحسيني وناظر الإذاعة الرفيق هادي الكركي ومجموعة من الطلبة الثانويين والجامعيين.



ترقبوا العدد الثالث من مجلة

النسوة



شباط – آذار 2023
في مناسبة الأول من آذار ذكرى مولد سعادته

تسعون التأسيس من معادلة الوحدة إلى معادلة الاتحاد والمقاومة

بقلم الأمانة كوكب معلوف *



وما أدى إليه ذلك من تمزق للنسيج الاجتماعي الواحد، بعدما هيمنت سياسة فرق تسد العثمانية طويلاً في نظام الملل والطوائف ومحاولاتها فرض هيمنة الحالة الطورانية وتترك اللغاة، عدا عن تدخلات القناصل واستنواء كل فئة بدولة. كل ذلك أدى إلى حالة من وهن الانتماء القومي وحل محله الانتماء الطائفي الملي.

في هذا المجال يقول سعادة "إن التساوي في الحقوق والتوحيد القضائي هما أمران ضروريان لنفسية صحيحة موحدة". . . ويضيف أنه "بدون هذا التساوي تظل العقليات المختلفة التي كونتها الشرائع المختلفة معضلة تمنع الأمة من الاضطلاع بقضاياها. . . فتعدد الشرائع وأنظمتها الحقوقية تجزئ الأمة الواحدة وتمنعها من التقدم".

ما أشبه اليوم بالأمس، بعد تسعين عامًا على تأسيس سعادة لـ"حركته الأصلية"، وبعد المنهج العلمي الذي اعتمده في أجوبته على تحديد للحيوية والقوة، وكذلك القدرة على استنهاض نفسها، لا تزال التجزئة تضعفها وتجعلها أقل منعة أمام الارتهان السياسي الخارجي.

وإذا كان عالم المسماريات الفرنسي شارل فيرلو قد قال يوماً عن سورية "الكل إنسان في هذا العالم ووطن، وطنه الأم وسورية"، بعدما كشفت دراساته عظمة دور بلادنا الحضاري وأهميتها في التاريخ، فإن ما صنعتها دول الاستعمار العظمى المهيمنة على العالم إلى اليوم، بكيانات الأمة لهو أمر مخيف في الانقسام الذي يزداد أكثر فأكثر.

نبدأ من فلسطين التي زرع فيها الاستيطان دولته فكان أعرب ما فيه أنه أعطى ما لا يملكه من أرض لمن لا يستحق من جماعات دينية عنصرية أخذت الأرض وما عليها وجعلت من أهل الحق والأرض من عصابات إرهابية" يفرغون منها تبعاً إلى شتات الأرض الواسعة.

أما الأردن الذي بعدما وضع في خانة المستسلمين، فوضعت اتفاقية "وادي عربة" ثم المشاريع المطروحة، أرضاً بديلة للضفة الأخرى، حتى بات يعيش حالة قلق مضاعف على ما يستهدفه من مشاريع ومؤامرات.

أما لبنان الذي مزقته الحروب الأهلية والطائفية فيتحكم بمقدراته نظام سياسي يهدد بالمزيد من التوترات والحروب التي يقصد منها اليوم بعد

عشية الذكرى التسعين لتأسيس الحزب السوري القومي الاجتماعي، لا بدّ من تأكيد الأسباب التي دفعت أنطون سعادة إلى توجيه سؤال لنفسه ولأبناء أمتهم، عما جلب عليهم ويلهم، والتي كانت أيضاً العوامل التي أدت إلى تجزئتهم وتوزعهم كيانات وشيعاً وقبائل ومجموعات، منها الطائفي والمذهبي ومنها العائلي والعشائري.

إنها الذكرى التسعون لتأكيد سعادة على الجواب الذي قدّمه لسؤاله الوجودي: "من نحن؟" ولتحديده هوية أمتهم وكذلك جغرافيتها المستهدفة بثرواتها وأرزاقها وموقعها الاستراتيجي.

إنها الذكرى التسعون لتثبيت أهمية وحدة الأمة في مواجهة كل ما سبق وتعرضت له، منذ السيطرة العثمانية عليها لأربعة قرون، وصولاً إلى الانتدابيين الفرنسي والبريطاني وما تلاهما من وعد بلفور واتفاقية سايكس - بيكو.

بعدما أعلن سعادة للملأ، عند انكشاف أمر الحزب، أن تأسيسه للحزب ليس فقط لمواجهة سلطة الانتداب بل من أجل غاية أهم ألا وهي جعل الأمة موحدة وصاحبة السيادة على نفسها، كان قد وضع مبدأه الأساسي بأن سورية للسوريين والسوريين أمة تامة، وذلك في رسالته من سجن الرمل عام 1935 إلى محاميه حميد فرنجية التي أوضح فيها سبب تأسيسه هذا الحزب.

ولقد حدد سعادة في المبدأ الأساسي الخامس جغرافية الأمة السورية التي تمتد من جبال طوروس في الشمال الغربي وجبال البختياري في الشمال الشرقي إلى قناة السويس والبحر الأحمر في الجنوب شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة، ومن البحر السوري في الغرب شاملة شبه جزيرة قبرص إلى قوس الصحراء العربية والخليج العربي في الشرق، ويعبر عنها بلفظ عام هو الهلال السوري الخصيب ونجمته قبرص.

لم يأت فكر زعيمنا سعادة إلا من واقع الأمة ولنا في كتابات رواد النهضة أكبر مثال، كالشيخ بطرس البستاني وجبران خليل جبران وأمين الريحاني وآخرين من مفكري تلك الحقبة، رغم ما شهدته تلك الفترة وما سبقها من محاولات سلطات الانتداب لتعزيز واقع التفرقة وحالة الكيانية الإثنية والطائفية محل الشعور القومي والانتماء للأمة،

حصاره، ومحاولة انتزاع ورقة المقاومة منه، التي شكلت مشعلاً مضيئاً وحيداً في كهوف الظلمة المستشرية.

أما العراق وهو كنز هذه الأمة الحضاري، فتفعل به الفتن والمؤامرات تمزيقاً وفدرلة، وقد أضعفته حروبه، وجعلت المطامع تعصف به، وتحرمه من قدرات نهريه العظيمين دجلة والفرات بفعل بناء السدود العظيمة من الدول المحيطة به بما لا يقبله أي قانون دولي.

فيما سوريا-الشام، لا زالت تعيش تداعيات الحرب الإرهابية الوهابية عليها ولا زالت تستكمل تحرير باقي نواحي هذا الكيان وأرضه الغنية بالثروات. وإذا كان سبق لتركيا أن سلخت لواء الاسكندرون فهي اليوم تهيمن على مناطق واسعة من إدلب إلى الحسكة والجزيرة، وأكثر مناطق الجمهورية السورية غني في النفط والغاز والأرض الزراعية والخصوبة. وقد أتت الحرب المستمرة إلى الآن من جنوبها والعدو الإسرائيلي يستمر بمحاولاته المدمرة لإضعاف سورية. كل هذه المخاطر تعزز مقولة سعادته بتساوي عدوي الشمال والجنوب وكذلك ما ارتكبه دول الخليج العربي من أدوار وهايبية مدمرة بحق سورية.

إن الواقع الاستراتيجي اليوم الذي يقسم العالم إلى محاور مختلفة ومعسكرات متنوعة الأهداف، يتم فيه أيضاً استهداف الدول الضعيفة وثوراتها، ما يجعلها هدايا على موائد تقاسم النفوذ.

في ظل هذه الأوضاع، لا يسعنا إلا أن نؤكد تموضعنا في محور المقاومة، لأنه وحده من خلال تحالفنا مع القوى المؤقتة بخيارات الشعوب، نحمي بلادنا من مطامع "الكبار" المستعمرين الجدد ذوي المخالب الناعمة.

إن هذا المحور، الذي بات الكيان اللبناني أحد أبرز مكوناته في المنطقة من خلال انتصار المقاومة وتمكنها أن تحرر لبنان وتلغي مفاعيل سايكس - بيكو، بعد انتقالها إلى محاربة الإرهاب في الشام ومساندة الجيش السوري، كان لا بد أن يدعمه حزبنا.

أيضاً، إن هزيمة داعش في العراق كانت استكمالاً لتوحيد هذا المحور، كما كانت انتصارات المقاومة في فلسطين المحتلة في غزة وانتفاضة

شعبنا في جنين ونابلس وغيرها من المدن، تؤكد المسار باتجاه الوحدة القومية التي ينادي بها حزب سعادته. لقد ثبت لأبناء هذه الأمة قول سعادته: "إن الحق القومي لا يكون حقاً في معترك الأمم إلا بمقدار ما يدعمه من قوة الأمة. فالقوة هي القول الفصل في إثبات الحق القومي أو إنكاره".

إن الحرب على بلادنا وأمتنا ليست حرباً عسكرية أمنية وحسب، بل هي أيضاً حرب اقتصادية وثقافية بامتياز، ونظراً للحصار الذي تعيشه كيانات الأمة من المحور الغربي المهيمن والداعم للكيان الصهيوني يهدف إلى تحقيق المزيد من الإضعاف والرضوخ لشروط هذا المحور المعادي الذي يريد من بلادنا إما الانسحاق أو الاستسلام. إن المطالبة باتحاد دول المشرق، أو السوق المشرقية باتت أمراً ملحاً وهدفاً لا بد منه لخروج هذه الكيانات من أسر هذا الحصار والانفتاح على بعضها البعض بهدف تعزيز التنمية الاقتصادية في كل كيانات الوطن، ولوقف هجرة الشباب وإيجاد فرص العمل وتصريف الإنتاج الزراعي ودعم الصناعة، ثم تعزيز ثقافة نقض التجزئة بين جيل الشباب التواق للانتماء.

إن مخاطر التجزئة، والتي تؤدي إلى إضعاف الأمة وخسارتها لمواردها البشرية والطبيعية، تطل العنصر الأساسية لحياة المجتمع وتطوره، لا سيما ما يحصل اليوم في العراق والشام من تهديد حقيقي للثروة المائية وبالتالي لأبسط مقومات الحياة والاقتصاد والاستفادة من الثروات التي ميّزت هذه البيئة الخصبة لآلاف السنين.

هذا الواقع الحالي للأمة ومآسيها يضع أمامنا من جديد فكر سعادته النير الذي يثبت صحته ويعيد تأكيد ما قدمه لنا الزعيم من وقائع علمية ومضامين فكرية تشكل الصيغة الوحيدة لإنقاذ الأمة.

* الأمانة كوكب معلوف عضو في المجلس الأعلى في الحزب السوري القومي الاجتماعي.

الملف الخاص

في الخامس من تشرين الثاني سنة 1980، اغتالت رصاصات "الحلفاء" في قلب بيروت "الوطنية" الأمينين بشير عبيد وكمال خير بك والرفيقة ناهية بجاني. رفقاء غدرت بهم أطراف مشبوهة، فسقطوا في غير الميدان الذي نذروا أنفسهم له. واليوم، إذ نستعيد بعضاً من كتاباتهم ومواقفهم، نرى أن "رواية" السلاح المنفلت الذي استهدف الأمينين بشير وكمال ليست إلا للتعتيم على المخطط الحقيقي الذي كان يترصد بهم، وعلى وجه التحديد الأمين كمال خير بك. ربما حان الوقت للنظر إلى تلك الجريمة في إطارها النضالي، وليس بوصفها حادثة أمنية عارضة تطورت إلى ذلك الحد المفجع.

الشهيد بشير عبيد

ولد الشهيد الأمين بشير عبيد في بيت شباب - قضاء المتن الشمالي في الخامس من أيار عام 1933. انتمى إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي في الأول آذار عام 1950.

تولى مسؤوليات مركزية عدة منها:

- ✦ مندوب مركزي لمناطق المتن الشمالي عام 1951.
- ✦ منفذ عام المتن الشمالي عام 1953.
- ✦ رئيس اللجنة الإذاعية المركزية عام 1959.
- ✦ عميد الدفاع منذ أواخر 1959 وحتى الثورة الانقلابية عام 1961 حيث اعتُقل وصدر بحقه حكم الإعدام.
- ✦ خرج من السجن عام 1969.
- ✦ انتخب عضواً للمجلس الأعلى عام 1973. ورئيساً للمجلس من 1973 إلى 1977.
- ✦ تولى القيادة العسكرية للجبل خلال أحداث 1975 - 1976.
- ✦ أعيد انتخابه عضواً للمجلس الأعلى في تموز 1980.
- ✦ استشهد بتاريخ 1980/11/5.



خواطر

بشير عبيد - 1976/3/15

تصورت مقبرة كبيرة تضم الألوف... عليها صليب كبير تطوقه سعف الأرز وعلى المدخل لوحة تذكارية كتب عليها: استشهدوا في بيروت وهم يقاتلون لطرده أبناء القدس وبيت لحم والناصره من مخيمات اللجوء في لبنان وتصورت ذهول أحفادنا في المستقبل وكيف تنقلب سعف الأرز إلى إكليل شوك...

ودعني منذ أشهر وهو هارب من الجحيم في نبعه برج حمود إلى قريته الحدودية في جنوب لبنان. قال لي والدمعة في عينيه والغصّة تكاد تخنق صدره ورقبته ملوية: الموت من يهود إسرائيل والله أرحم من موت يهود بيروت... خطفوا ابني الكبير وذبحوه ثم شوهوا جثته ورموها مع تنك الزباله على الجسر المعروف... كدنا نموت جوعاً ذهب ليعيلنا فدفع حياته ثمناً لجوعنا وبقينا جائعين...

سأذهب مع بقية أولادي إلى أرضنا هناك أفلحها وأعيش من خيراتها وإذا مت أموت وأنا أقاتل دفاعاً عن أرضي وأطفالي... لقد كفرت بالله والدين والوطن وكل الزعماء...

أمس بلغني نبأ مصرع ولده الثاني بالقصف الإسرائيلي. زرته موسياً. كان يشدّب أشجار الزيتون أمام داره... لم يكن في عينيه دمع ولا رقبته ملوية وكان يصلي بإيمان... لا أدري لماذا شعرت أنه زيتونة بين الزيتونات لا تنكّه زباله على رصيف الصيفي في بيروت...

في المعارك الأخيرة عمت المساواة لبنان بالفعل... أكوخ التنك في الكرنطينا وفنادق الدرجة الأولى في عين المريسة. حزام الفقر في الشياح والدكوانة والنبعة مع المعامل الضخمة القائمة فيها... مساواة في الخراب والدمار والبشاعة... وقريباً تتم المساواة في حكومة الاتحاد الوطني... وعين الله ترعى لبنان...

سألني ساذج خبيث سؤالاً لم أجب عليه: لماذا تبدأ المعارك العسكرية في لبنان بسرعة في يوم واحد في ساعة... وتهدأ المعارك أيضاً عندما يشاء الزعماء الوطنيون في يوم واحد في ساعة... ولماذا تأليف الحكومة يأخذ أشهراً طويلة؟

اليهود في فلسطين شيع ومذاهب وأعراق من كل الأمم. وأحزاب من اليمين إلى الوسط واليسار... وكلهم يقاتلوننا كيهود... ونحن معهم يقاتل بعضنا بعضاً.

ترى صخور لبنان لو بقيت بدون طواحين صخور أما كانت أفضل وأجمل؟

رأيت ليلاً فتى يشوه رمز الزوبعة المرسوم على جدران أحد الشوارع. كان يطرشها بعنف بحقد ويكاد وهو يطرش يعمي عينيه بالدهان. سألته لم تفعل ذلك؟ ببراءة أجنبي: دفعوا لي لأعمل هذا وودوني بحصة من البضاعة بعد الهجوم.

- وما شأن الزوبعة إذا كان الشارع سينهب؟

— يا أستاذ هذه العلامة تعني أن الشارع محروس وممنوع نهبه ولا تستطيع جماعتنا اقتحامه... هذه العلامة قطعت رزقنا...

- بعد أن تكاثر بيع صلبان الخشب وأصبح تجارة مسيحية رابحة في لبنان صرنا بحاجة إلى جيش وطني خاص يحرس شجرات الأرز...

لم تعد تظهر في بيانات محتكري حب لبنان التجاري تعابير لبنان أبدي أزلي سرمدي... يبدو أن الموسم الحالي لا يوحى بالربح... وقانون التجارة في لبنان حسب السوق... واللبناني العادي تاجر وماهر فكيف بزعمائه؟

مرسالة إلى الأمينة في خلودها

بشير عبيد

والخلود؟ أن تبقى هذه القيم وتتجدد وتشمخ وتستمر وكلما استمرت زادت قدرتها قدرة وبهاءها بهاء وطال عمرها إلى أبد الأبدین وطال عمرك معها على قصر عمرك. تحيا أنت كفرد وتغيب وتبقى هي كمجتمع فتبقى أنت معها. تلك أعلى مراتب الإدراك والإيمان والشهادة على اجتماعية الإنسان وشراكته الإنسانية مع الآخرين، وذلك هو الحضور الروحي الدائم الذي يجعلك فوق كل ألم وأسى من كل صغار وعلى شفاهك طعم العز وفي عينيك بريق النصر. تحيا في جنات خلود وشعورك أنك أنت دفق أنهارها وجاني ثمارها وسكينة الروح في قرارها.

والسعادة؟ إدراك لهذه القيم ويوصل إلى حدّ الريادة وإيمان بها يبلغ قمة الشهادة وكفاح لا يطلب من العمر أن يطول إلا ليطول كفاحه وبسمات... بسمات الجراح التي تفتقر لطفل يحبو وشجرة تنمو ونبع يدفق. لفكرة تتألق وجمال يتوهج وابتكار يدفع باتجاه الذرى. وناس... ناس يصارعون لانتصار الحياة وفي عمق أعماقهم وريد فرح، نبضة منه في لحظة واحدة تمسح كل دموع الجراح، فإذا أنت والناس وتراث الحياة الذي يحملون ويحلمون وجدانية كبرى شاملة مستمرة، أكبر منك، أكبر من الناس، تبدأ مع بداية تاريخ الإنسان ولا تنتهي طالما تاريخ الإنسان لن ينتهي، سعادة بحجم كل الناس في بلادك وبعمق قضاياهم وعلى امتداد التاريخ كله.

امرأة... وأمينة... وأولى كنت...

قيمة بحد ذاتك كنت وقيمة عبر من رافقت وشاركت وناضلت وناضلت. فما أروع تلك الشراكة الروحية بل ما أروع أن يدرك

منذ سنة غبت عنا، تراك إلى الأبد، كما يقولون، غبت؟

في ألف خاطر وخاطر صورتك والذكريات، أحاديثك والندوات، أسرك وصمود العنقوان، أسرتك ومرارات الحرمان، بهاء ظلتك على المؤمنين، وداعة طلعتك تفيض بالمحبة واليقين ودائماً... الأمينة الأولى، رفيقة المعلم وحكايات الرب الطويلة.

كنت الأولى وستبقى. ليس لأنه كان الأول زعيماً وشهيداً. بل لأنك كنت أنت بما كنت.

أبهذا تنكر له واستنكار لقيمة ما اختار ورافق ومنح؟ أم اعتراف بما علم ودعا وناضل وسفح؟

من أنات إلى اشتار ومن سميراميس إلى زنوبيا. من ألف أم لألف بطل وشهيد ومن ألف حبيبة لألف شاعر وفنان ومن ألف زوجة لألف عالم ومفكر ومن ألف أخت لألف مناضل وثائر، ألف شهادة على أن شجرة العبقرية الخالدة، ما أوركنت وعقدت لها أزهار ولا أينعت ونضجت لها ثمار إلا على دمعات وحسرات، بسمات، وبركات امرأة.

الرجل الإنسان...

والمرأة الإنسان...

والقيمة؟ لا رجل ولا امرأة بل إنسان وما يحمل فيمنح قيم الحق والحقيقة، الخير والجمال، العدالة والقوة من عصارة دمه ونسغ روحه لتستمر دماؤها حارة وروحها وهاجة في كل قلب ونفس من إنساننا وإنسان كل الناس.

الإنسان ويشعر أنه خالد وهو يحيا! وهل من انتصار أكبر من هذا، انتصار الحياة على الموت والخلود على الفناء؟

وحتى أعلى قمم السعادة والفرح وصلت. رغم الآلام الكبيرة والأحزان العميقة، إذ ليس من سعادة أشمل وفرح أعمق من أن يشعر الإنسان أنه مصدر فرح وسعادة ومثال آمال أمة بكاملها؟ كان يلزم أمتنا في بدء تاريخها الجديد امرأة... فكنت أنت.

نساء بلادي كلهن كنت. رفيقة كل رفيق وأمينة كل أمين. أخت كل شهيد وأم جميع المؤمنين. بعدك ما عادت المرأة في بلادنا زوجة وأمّاً فقط، أمست رفيقة قضية وأمينة نضال في سبيل القضية. بك بما جسدت من تعاليم المعلم عادت المرأة في بلادنا بعد ألف سنة إنساناً سوياً لتستمر عبر بضعة آلاف السنين المرأة الإنسان التي اعتادت بعد ألف سنة إنساناً سوياً لتستمر عبر بضعة آلاف السنين المرأة

الإنسان التي اعتادت أمتنا من دون كل الأمم عبر مسارها التاريخي العريق أن ترفعها إلى درجة الألوهة، فساوتها بالرجل وجعلتها له أمّاً وأختاً وحببية وشريكة معركة الحياة في انتصار قيمها وخلود مجتمعتها.

أسطورة حقيقية حبيبت. وما الفرق بين الحقيقة والأسطورة في بلادنا ومن قال أن أساطيرنا ليست حقائق؟

رمز الإنسان المرأة كنت. قدوة الأمينات على قضية إنسان بلادنا غدوت، وأجيالاً من المناضلين صنعت. فهل تراك كما عادة يقولون غبت وإلى الأبد غبت؟

وأية أسطورة نسيتهها بلادنا بلاد الحقائق الأساطير؟

1977/7/2



الشهيد كمال خير بك

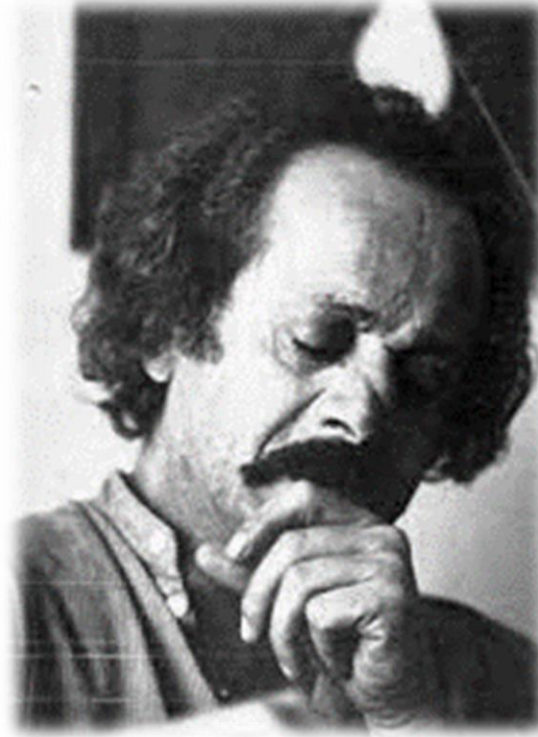
إلى جامعة جنيف العام 1972 ونال عليها الدكتوراه بدرجة الشرف. بعد انفصاله عن زوجته نجاة نجار، تزوج مرة ثانية من خزامى قاصوف في العام 1973، وأنجب منها ولده الثاني هشام .

انتمى إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي في أوائل الخمسينات. تولى مسؤوليات عديدة في الحزب. واجه السجن والملاحقة عدة مرات. وأثناء وجوده في فرنسا تعرض لمحاولات اغتيال عديدة. نسّق مع الثورة الفلسطينية وقاد العديد من العمليات الخارجية ضد إسرائيل بالتعاون مع وديع حداد وفؤاد الشمالي ومحمد بودية (بوضيا) وكارلوس ضمن إطار منظمة "أيلول الأسود".

استشهد في 5 تشرين الثاني سنة 1980 إلى جانب رفيقه القيادي في الحزب الأمين بشير عبيد وناهية بجاني (ابنة أخت الأمين بشير) على أيدي مجموعة تابعة لحركة "المرابطون" اقتحمت منزل عبيد في

بيروت بعد اشتباك وقع بين أحد عناصرها وسائق سيارة عبيد. دفن في مقبرة شهداء فلسطين - بيروت. وعندما بثت إذاعة إسرائيل الخبر قالت: "قتل اليوم في بيروت الإرهابي كمال خير بك الملقب بأبو زياد. وكمال خير بك له علاقة مع عدد من الإرهابيين الدوليين وترأس لفترة طويلة تنظيمياً يضم كارلوس وعدداً من المخربين. ويعتبر كمال خير بك أبرز معاونين للإرهابي وديع حداد."

ولد الشهيد كمال خير بك في بلدة مصيف العام 1935، وتعود أصول عائلته إلى مدينة القرداحة بمحافظة اللاذقية. تلقى تعليمه الابتدائي في مدارس اللاذقية ونال الشهادة الثانوية فيها. وبرزت موهبته الشعرية في بداية شبابه، حيث بدأ بكتابة الشعر وهو في سن الخامس عشرة، حتى أنه عارض الشاعر بدوي الجبل في قصيدته الشهيرة "خالقة" من خلال قصيدة نظمها مستخدماً نفس القافية والوزن، ولكن برؤيته المختلفة كلياً عن رؤية البدوي .



انتقل إلى منطقة الكورة في شمال لبنان بداية العام 1952 وعاش فيها وتزوج من نجاة نجار وله منها ولده الأول زياد. انتمى إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي، وكان يوقع مقالاته وقصائده بلقب "قدموس". أصدر في بيروت ديوانه الأول العام 1960 بعنوان "البركان" الذي تضمن قصائد قومية مقفاة الوزن. ثم صدر ديوانه الثاني بعنوان "مظاهرات صاخبة للجنون" العام 1965 بتوقيع مستعار "كمال محمد". وكان هذا الديوان نقلة في مساره الشعري إذ استخدم شعر

التفعيلية بدل الشعر العمودي في أغلب القصائد. بعدها انقطع عن النشر بداية العام 1965 وحتى استشهاده، على الرغم من أنه كان يكتب شعره على قصاصات ورقية احتفظ بها أصدقاؤه غسان مطر وبدر الحاج ومخول قاصوف، ثم قاموا بنشرها في ثلاث مجموعات شعرية هي "دفتر الغياب" و"وداعاً أيها الشعر" و"الأنهار لا تعرف السباحة في البحر".

انتسب إلى جامعة السوربون في باريس من أجل إعداد أطروحته الشهيرة حول "حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر"، بإشراف المستشرق الفرنسي جاك بيرك، ثم قدمها

المراكب التي لا تموت

كُتبت في مناسبة رحيل الرفيق سعيد تقي الدين

في جَبْهَةِ النَّضالِ،
حَيٌّ فِي نُفوسِنَا وَصِرَاعِنَا...
سَنَرَاكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي حُرُوفِكَ،
وَسَنَسْمَعُ هُتَافَ "عَسَّان"، رَفِيقُ جِهَادِكَ وَسَفْرَكَ،
يُلْهَبُ خُطَانَا
وَيَصْرُخُ فِي طَرِيقِنَا:
إِلَى الْأَمَامِ...

قدموس - "البناء" في 1960/2/18



هذا شراعك يا سعيد
يسفط خلف البحار الصعبة...
هذا شراعك يا سعيد
يبحر في قلوبنا وتاريخنا...
تاريخنا يا سعيد
بحار من الدماء والدموع، ومراكب تهوى في عواصف
الموت، لتولد في يقظة الشعب الذي كنت تفديه...
حروفك يا سعيد
ما زالت، لنا، في الدرب منائر لا تنطفئ
وزوابع محبة لا تموت...
حروفك ستبقى
"مراكب" تحمل الشعب إلى آفاق الحياة المضيفة
وتبعثك فينا
مُحيطاً عظيماً من العطاء،
تسقط في أعماقه البعيدة مراكب العدم...
أيها الرفيق المسافر...
لن نقول "وداعاً" ولن نذرف الدموع
لأنك باقٍ معنا،

فلسطين.. منجم الأدب

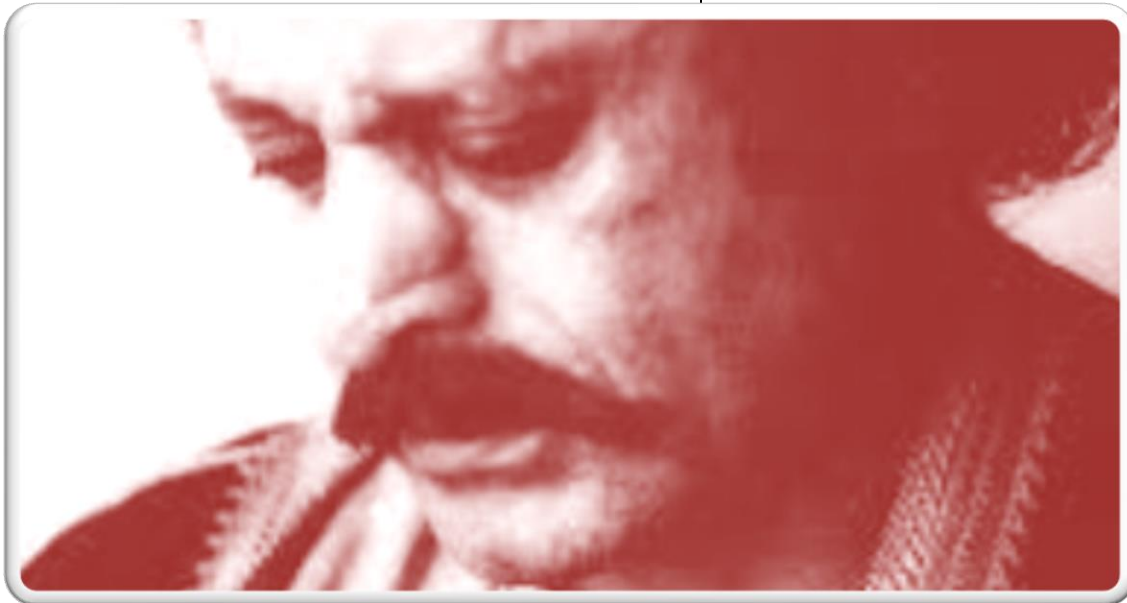
أفلامنا ما تزال تَعْرِفُ من لَوْنِهَا، وتَكْتُبُ مَلاجِمَ
الحُزْنِ والثَّوْرَةِ.

فِلَسْطِينُ.. نَبْعُنا الدَّامِي وَقَلْبُنَا المَفْجُوعُ.

لِتَنْجِيهِ صَوْبِهَا الأَقْلَامُ، أَقْلَامُ النَّابِغِينَ. فَهِيَ مَنَجَمُ
الشَّعْرِ والأَدَبِ، وَهِيَ كَنْزُ الجِرَاحِ العَظِيمَةِ
المُوجِعَةِ.

كمال

1959/11/3



الأَدَبُ الخالِدُ هو أَدَبُ الإنسان، وأخْلَدُ هذا الأَدَبُ
هو أَدَبُ المَأسَاةِ .

الْفَرْحَةُ تَهْزُ، وتُلْهَبُ، لكنَّ للمَأسَاةِ طَعْمَ الجُرْحِ
الصاخبِ، وصَوْتُ البَراكِينِ التي لا تَحْمَدُ، منها
يَشْرَبُ الحَرْفُ وَيَسْكُرُ، وبِهَا يَغْتَسِلُ وَيَتَعَمَّدُ،
ويَصِيرُ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ الحَرْفِ.

مِنذُ أَجْيَالٍ، وَجِرَاحُنَا تَنْزِفُ، وصُراخُنَا يَتَعَالَى فِي
كُلِّ يَوْمٍ يَجْتَاخُنَا سَيْلُ المَوْتِ .

تَقْوِيمُنَا مِليءٌ

بالدَّمِ والدَّمِ

والقَوَاجِعِ، وَجَبْهَتُنَا

ما تَزَالُ تَحْمِلُ ثِقْلَ

الهِمِّ، وَتَعْبُرُ دَرَبَ

الأَلَمِ.

فِي جِرَاحِنَا

الكَثِيرَةِ، فِلَسْطِينُ

تَبْقَى جِرْحَانَا

الأَكْبَرِ، وَمُشْكِلَتُهَا

لَطِخَةُ عَارٍ فِي

تَارِيخِنَا الحَدِيثِ.

فِلَسْطِينُ هِيَ

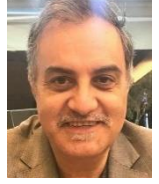
بَيْتُنَا المَهْدُومُ

وصَدْرُنَا المَجْرَحُ،

ومَأسَاةُنَا الأُولَى.

هل لـ"إسرائيل" الحق في الوجود؟

بقلم الرفيق الدكتور عادل بشاره *



علاوة على ذلك، فإن ذلك "الوعد"، حتى ولو فسرناه تفسيراً سياسياً، وليس روحياً، فإنه كان مشروطاً ويجب قراءته وفهمه في سياقه الصحيح. وهذا السياق توفره الآية التالية في شكل جملة شرطية: "فقال الله لإبراهيم: أما أنت فاحفظ عهدي، أنت ولسلك من بعدك للأجيال القادمة". اليوم، ليس لليهود حق إلهي في أرض الميعاد، حتى لو سلمنا بوجود ذلك الوعد، ذلك لأن إبراهيم ونسله قد نقضوا شرط الوعد مراراً وتكراراً. وبهذا الخصوص كتب جون بايبر:

"ليس للشعب الذي لا يحافظ على العهد حق إلهي في الاحتفاظ بأرض الميعاد. كل من المكانة المباركة للشعب، والحق المتميز في الأرض، مشروطان بحفاظ إسرائيل على العهد الذي قطعه الله معها ... إسرائيل، على العموم، اليوم ترفض مسيحها، يسوع المسيح، ابن الله. هذا هو ذروة نقض العهد مع الله."

ما تعنيه فكرة أرض الميعاد، عملياً، هو أن الحدود الحالية الغامضة لـ "إسرائيل" ليست سوى جزء بسيط من تلك التي قصدتها الله للشعب اليهودي. وهذا هو السبب في أنه بعد ما يقرب من 70 عاماً منذ تأسيس "إسرائيل"، فشلت الحكومات المتعاقبة في إعلان ما تعتبره حدوداً إقليمية لها. والحقيقة أن "إسرائيل" هي الكيان الوحيد في العالم الذي لم يعترف بعد بحدوده.

ثم إن الصهاينة طالبوا بفلسطين زعماً أنها أرض مستقلة عن سورية ومنفصلة عنها. وهنا نسأل: ألا يتناقض هذا الزعم مع جغرافية "أرض الميعاد" من النيل إلى الفرات؟ أضف إلى ذلك "أنه بإجماع علماء "الكتاب المقدس" والمؤرخين، لا يوجد أدنى مسوغ جغرافي جيولوجي أو تاريخي اقتصادي لفصل فلسطين عن سورية ... إن سورية من جبال طوروس إلى العريش هي قسم جغرافي طبيعي متصل مؤلفة من جبال ووديان تمر من الشمال إلى الجنوب، فإذا جاز تقسيمها كان ذلك إلى مقاطعات مستطيلة - مقاطعة الساحل ثم الجبال الغربية (جبال لبنان) ثم وادي الليطاني والأردن ثم الجبال الشرقية (لبنان الشرقي وجبال باشان الخ.) ثم البادية. وكل هذه المقاطعات تخترق سورية وفلسطين على السواء فلا حد طبيعي يفرق سورية عن فلسطين مطلقاً ولم تكن فلسطين ابداً كلها بيد اليهود إلا على زمن سليمان. فعلى زمن عزهم - زمن داود - كان ألد أعدائهم الفلسطينيين «الغلف» الذين دعيت أرض فلسطين باسمهم لا باسم بني إسرائيل."

إن حجة الوعد الإلهي يستند إلى تاريخ زائف ومزيج من الأسطورة والتقاليد الشفوية والعادات القبلية. إن مفاهيمها عن "أرض الميعاد"

بعد أربعة وسبعين عاماً على تأسيس الكيان الصهيوني في فلسطين، لا تزال شرعية هذا الكيان الغريب موضع تساؤل حتى في البلدان التي ساعدت على تأسيسه. والسبب في ذلك يعود بشكل أساسي إلى أنه كلما زاد المرء دراسته للأسس التي قامت عليها دولة "إسرائيل" كلما اتضحت عدم شرعيتها. دعونا نناقش، ولو بصيغة مقتضبة، الأسس الثلاثة الرئيسية التي غالباً ما يتم اعتمادها من قبل الصهاينة ومؤيديهم.

1. الوعد الإلهي

هناك، في المقام الأول، حجة أن "إسرائيل" لها الحق في الوجود لأن فلسطين هي الأرض التي وعد بها الله الشعب اليهودي. هذه الحجة التوراتية، التي رُوجت ولا تزال تروّج من قبل الصهاينة ومؤيديهم لتبرير إنشاء "إسرائيل"، هي حجة واهية لدرجة الهرطقة. العقول الساذجة فقط هي التي يمكن أن تأخذ هذه الحجة على محمل الجد. فإذا وضعنا جانباً الاعتراض على هذا المفهوم على أساس أن الدولة هي شأن سياسي، والوعد الإلهي هو شأن ديني روحي، وهذان شأنان لا علاقة لهما ببعضهما البعض، يمكننا أن نتفحص بإيجاز الأساس الذي تقوم عليه هذه الحجة كما يلي:

حدود الأرض التي من المفترض أن الله قد وعد بها إبراهيم ونسله موضحة في التكوين-15: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبِيْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرٍ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرُ الْفُرَاتِ». إذا تم تطبيق هذه الحدود اليوم، فسيتطلب ذلك دمج أجزاء من مصر ولبنان والشام والأردن وفلسطين والعراق وحتى الكويت وأجزاء من المملكة العربية السعودية. هذا ليس غير عملي فحسب، بل هو أيضاً يتعارض مع كل القوانين الدولية المعمول بها. والمعلوم أن هناك خطأ فاضحاً يرتكبه الصهاينة في تفسير هذا الإصحاح. فإذا وافقنا على وجود ذلك الوعد كما هو منصوص عليه، فكيف نفسر قول الله لإبراهيم (الآية 13)، فَقَالَ لِأَبْرَامَ عَنْ مِصْرَ: «اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ». إذاً الله اعتبر أن اليهود سيكونون غرباء في مصر، ولم يقل إنها أرض موعودة لهم كما هو وارد في الآية 15. وما ينطبق على مصر ينطبق أيضاً على العراق. فقد قيل في المزمور "عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا، بَكِينًا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيُونَ ... كَيْفَ نُرْتِمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ" (مز: 137: 1-4). إذاً العراق، التي يمر بها نهر الفرات، هي أرض غريبة وبالتالي ليست ضمن أرض الميعاد كما هو مذكور في الآية 15 من إصحاح التكوين.

"لشعب مختار" لا تتوافق تمامًا مع المعايير الأخلاقية المعاصرة فحسب، بل أيضًا مع المنظور الذي يرفض فكرة أن الله يختار شعبًا ليعبده على آخر.

2. وعد بلفور

هذا التعهد العلني من قبل بريطانيا في عام 1917 معلنا هدفها في إنشاء "وطن قومي للشعب اليهودي" في فلسطين، والذي جاء في شكل رسالة من وزير الخارجية البريطاني آنذاك، آرثر بلفور، موجهة إلى ليونيل والتر روتشيلد، أحد الشخصيات البارزة من الجالية اليهودية البريطانية، لا قيمة له سوى الورقة التي كتب عليها. انه من صنع أجنبي إنكليزي لم يكن له حق التصرف بفلسطين، وإهدائها إلى يهودي أجنبي ليس له الحق فيها. أو كما قال إدوارد سعيد ذات مرة، "صنعت من قبل قوة أوروبية... حول أرض غير أوروبية... في تجاهل تام لوجود ورغبات الأغلبية الأصلية المقيمة في تلك المنطقة". لقد كان، في جوهره، وعد بأرض كان اليهود يشكلون أقل من 10% والسكان الأصليون فيها أكثر من 90%.

في الواقع، لقد كان وعد بلفور واحدًا من ثلاثة وعود متضاربة في زمن الحرب قديها البريطانيون. عندما صدر وعد بلفور كانت بريطانيا قد وعدت "العرب" بالفعل بالاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية في مراسلات حسين-مكماهون عام 1915. كما وعد البريطانيون الفرنسيين، في معاهدة منفصلة عُرفت باسم اتفاقية سايكس بيكو لعام 1916، بأن غالبية فلسطين ستكون تحت الإدارة الدولية، بينما سيتم تقسيم بقية المنطقة بين القوتين الاستعمارييتين بعد الحرب. بعبارة أخرى، صدر وعد بلفور ليس لأن اليهود كانوا مؤهلين لفلسطين أو لأن إعطاء فلسطين لليهود سيكون حلاً "للمشكلة اليهودية" ولكن لأسباب سياسية بريطانية بحتة:

- كانت السيطرة على فلسطين مصلحة إمبريالية إستراتيجية لإبقاء مصر وقناة السويس ضمن دائرة النفوذ البريطاني.
- لحشد الدعم بين اليهود في الولايات المتحدة وروسيا على أمل أن يشجعوا حكوماتهم على البقاء في الحرب حتى النصر.
- لتأمين الدعم المالي اليهودي في بريطانيا.
- إفساد أية محاولة من قبل ألمانيا لكسب التأييد اليهودي بإصدار إعلان مماثل.
- منح إنجلترا التفوق على فرنسا في أي خلاف بعد الحرب حول إدارة أراضي الشرق الأوسط.

لذلك، فإن وعد بلفور ليس له أساس سياسي أو قانوني بموجب القانون الدولي. إنه نتيجة حقبة استعمارية سعى خلالها الأوروبيون إلى إعادة تنظيم العالم وإنشاء دول على النحو الذي يروونه مناسبًا مع مصالحهم وطموحاتهم الاستعمارية. وبهذا الخصوص كتب لويد جورج، رئيس الوزراء البريطاني أيام إطلاق الوعد، في كتابه "الحقيقة حول معاهدات الصلح ما يلي: "... أن أسباباً دبلوماسية وعسكرية حققت إجماع الوزراء حول موضوع الوعد، حتى السيد مونتاجي (وزير الهند الذي عارض الوعد بدايةً)، استسلم وقيل بالتصريح بصفته ضرورة عسكرية".

والى جانب افتقاده لأي أساس سياسي أو قانوني، يمكن اعتبار الوعد غير شرعي للأسباب التالية:

1. لأنه مجرد تصريح وليس معاهدة، مما يجعله باطلاً وغير ملزم من وجهة نظر القانون الدولي.
2. لأن طرف "التعاقد" مع بريطانيا في الوعد هو شخص أو أشخاص وليس دولة، مما يجعله يتناقض تام مع مبدأ أن في انعقاد أية اتفاقية أو معاهدة دولية يجب أن يكون طرفي أو أطراف التعاقد من الدول أولاً ثم من الدول ذات السيادة ثانياً.
3. لأنه يتضمنه الباطني لفكرة إحلال شعب مكان شعب آخر يتعارض مع مشروعية موضوع التعاقد، أي الأخلاق العامة والعدالة الإنسانية.

تقول الحجة الصهيونية المضادة لهذا: "تم تشكيل الأساس القانوني لدولة إسرائيل عندما أدرجت عصبة الأمم في عام 1923 الإعلان في القانون الدولي، و [تم] قبوله لاحقًا من قبل الأمم المتحدة في عام 1947".

هنا لا بد من العودة إلى توضيحات سعادته بهذا الخصوص: "إنّ هذا التصريح هو وعد يقيد بريطانية تجاه الصهيونيين، ولكنه يتعلق بمصير شعب ورد في المادة الثانية والعشرين من ميثاق الجمعية الأممية بشأنه أنه أحد الشعوب المستعبدة سيادتها من السلطنة العثمانية. وإيجاد توافق بينه وبين صك الانتداب الذي يجب أن يكون متفقاً في الأساس مع البند المذكور من ميثاق الجمعية الأممية، هو من أغرب الشعوذات السياسية في التاريخ الحديث." وعن قرارات الأمم المتحدة في عام 1947، فيقول: "إن الأمة السورية هو وحدها صاحبة الحق الطبيعي والشرعي في فلسطين، وأنه ليس لغيرها أن يقول الكلمة الأولى والأخيرة في مصيرها. ليس لبريطانية أن تقرر مصير فلسطين، وليس لروسية أن تقرر مصير فلسطين، وليس لأيركانية أن تقرر مصير فلسطين، بل ليس لمصر ولا للجزيرة أن تقرر مصير فلسطين. ليس من حق جمعية الأمم المتحدة كلها أن تفرض على الأمة السورية مقررات تنزع سيادة الأمة السورية عن وطنها أو حقها في أرضها."

ما يجعل وعد بلفور أكثر غموضاً هو فكرة "الوطن القومي" التي أدخلت فيه. ليس فقط في ذلك الوقت لم يفهم أحد نطاق "الوطن القومي"، أو كيف كان مختلفاً عن الدولة، ولكن لم يكن له أساس قانوني أو واقعي على أي مستوى من مستويات السياسة الدولية. كان المفهوم نتاجاً للخيال الصهيوني البريطاني، وكان تحديده للأغلبية الفلسطينية على أنها "مجموعات غير يهودية" ضرب من ضروب العنصرية عكس في جوهره الشعار الصهيوني الشهير عن فلسطين على أنها "أرض بلا شعب من أجل شعب بلا أرض".

3. قرارات الأمم المتحدة

أخذ الصهاينة على عاتقهم محاولة الدفاع عن جرائم إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني بتوجيه الاتهام بأن منتقديها يحاولون "نزع الشرعية" عما يسمى "الدولة اليهودية"، وبزعمهم أن لـ"إسرائيل" "الحق في الوجود" كسائر الأمم. لكنهم مخطئون.

إن الإطار المناسب للنقاش هو الحق في تقرير المصير وليس الحق في الوجود. إن الادعاء بأن لـ"إسرائيل" "الحق في الوجود" يتم إجراؤه بشكل متكرر من أجل التعتيم على "حق تقرير المصير" بالتحديد. لذلك كان من الضروري للمدافعين عن "إسرائيل" أن يغيروا

الفلسطينيين، أكثر من 700000 شخص، من منازلهم في فلسطين، وتم محو مئات القرى الفلسطينية من الخريطة.

لذلك عندما يدعي الصهاينة أن لإسرائيل "الحق في الوجود"، فإن ما يقولونه حقاً هو أن الصهاينة لديهم "الحق" في التطهير العرقي لفلسطين من أجل إقامة "دولتهم اليهودية". ومرة أخرى، بموجب القانون الدولي، يعتبر التطهير العرقي جريمة ضد الإنسانية.

هذا يعني أن الإعلان الأحادي الجانب من قبل الصهاينة في 14 مايو 1948، ليس له أية شرعية. ومن الواجب معرفة أن جريمة التطهير العرقي لا يمكن تبريرها أو إضفاء الشرعية عليها.

عندما يتم توجيه تهمة "نزع الشرعية" إلى منتقدي "إسرائيل"، فإن ما يحدث بالفعل هو أن المدافعين عن "إسرائيل" هم الذين يحاولون نزع الشرعية عن حق الفلسطينيين في تقرير المصير، إلى جانب حق لاجئي الحرب المعترف بهم دولياً في العودة إلى وطنهم.

بغض النظر عن عدم شرعية الوسائل التي اتبعت لإقامة "دولة إسرائيل" فهي موجودة فعلياً ككيان. هذا هو الواقع الراهن. ومع ذلك، فإن مطالبة الكيان الصهيوني للفلسطينيين بالاعتراف بـ "حقه" ليس فقط في الوجود، بل في الوجود "كدولة يهودية" هو ببساطة مطالبة الفلسطينيين بالتنازل عن حقوقهم والموافقة على شرعية إعلان الصهاينة الأحادي الجانب وعلى التطهير العرقي لفلسطين. مشكلة الصهاينة هي أن ممارسة الفلسطينيين لحقوقهم تعني نهاية وجود الكيان الصهيوني كـ "دولة يهودية".

كلمة أخيرة

هل لـ "إسرائيل" الحق في الوجود؟ وما الخطأ في إنهاء كيان عنصري في الأساس ينتهك على الدوام القانون الدولي والحقوق الإنسانية والقومية المعترف بها؟

الجواب على السؤال الأول هو: "نعم" عند الأكثر جهلاً وتضليلاً. والجواب على السؤال الثاني واضح لأي شخص يتسم بالصدق والنزاهة الأخلاقية: ليس من الخطأ في شيء.

لذلك، على الذين يقومون بدور نشط في السعي لتحقيق السلام والعدالة، أن يركزوا جهودهم لتحقيق هذه الغاية بالذات – أي إنهاء الكيان العنصري في فلسطين. وهذا يبدأ باكتساب فهم صحيح للطبيعة الحقيقية للنزاع والمساعدة في فتح أعين كل من يتمتع بالنزاهة، وتنوير الذين خدعوا بالأكاذيب والدعاية التي كرس العنف والظلم لفترة طويلة.

ليس للكيان الصهيوني الحق في الوجود ولن ينال هذا الحق أبداً. الخطأ خطأ وعدم الرجوع عن الخطأ هو خطأ أكبر.

* الدكتور عادل بشاره كاتب ومحلل في الفكر القومي الاجتماعي. له العديد من المؤلفات باللغتين العربية والإنكليزية.

إطار النقاش لأنه، في إطار حق تقرير المصير، من الواضح أن "إسرائيل" هي التي ترفض حقوق الفلسطينيين وليس العكس.

الحق في تقرير المصير معترف به بموجب القانون الدولي. إنه حق مكفول صراحة، بموجب ميثاق الأمم المتحدة.

لا يتجلى الرفض الإسرائيلي لمبدأ "الحق في تقرير المصير" فقط في استمرار الاحتلال لفلسطين، بل أيضاً في الرفض لحقوق الفلسطينيين في نفس الوسائل التي تم من خلالها إنشاء "إسرائيل".

هناك اعتقاد شائع بأن "إسرائيل" تأسست من خلال عملية سياسية مشروعة. هذا غير صحيح. تركزت هذه الأسطورة على فكرة أن قرار "خطة التقسيم" الشهير الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة - القرار 181 الصادر في 29 نوفمبر 1947 - قسم فلسطين بشكل قانوني أو منح السلطة القانونية للقيادة الصهيونية لإعلانها أحادي الجانب عن وجود "إسرائيل" في 14 مايو 1948.

في الواقع، في ذلك الإعلان بالذات، وهو الوثيقة التأسيسية لـ "إسرائيل"، اعتمدت القيادة الصهيونية على القرار 181 لمطالبتهم بالسلطة القانونية. لكن الحقيقة هي أن القرار 181 لم يقدم مثل هذا الشيء. ولم يكن للجمعية العامة سلطة تقسيم فلسطين ضد إرادة غالبية سكانها. ولم تدع ذلك. على العكس من ذلك، أوصت الجمعية فقط بتقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين يهودية وعربية، وهو ما يجب أن يتفق عليه كلا الشعبين ليكون له أي أثر قانوني. أحالت الجمعية الأمر إلى مجلس الأمن، حيث ماتت الخطة مع الاعتراف الصريح بأن الأمم المتحدة ليس لديها سلطة لتنفيذ أي تقسيم من هذا القبيل.

كثيراً ما يوصف إعلان الصهاينة الأحادي الجانب بأنه بمثابة "إعلان الاستقلال". لكنه لم يكن كذلك. إعلان الاستقلال يعني أن الشعب الذي يعلن استقلاله يتمتع بالسيادة على البلد الذي يرغب في ممارسة حقه في تقرير المصير فيه. لكن الصهاينة لم يكونوا يتمتعون بالسيادة على الأرض عند صدور القرار 181.

على العكس من ذلك، عندما أعلنوا عن وجود "إسرائيل"، كان اليهود يمتلكون أقل من 7٪ من أراضي فلسطين، وكان الفلسطينيون - وكانوا يشكلون أغلبية عديدة - يمتلكون أراضي أكثر من اليهود في كل منطقة من فلسطين. على الرغم من الهجرة الجماعية، ظل اليهود أقلية تضم حوالي ثلث السكان.

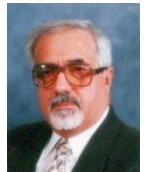
حتى داخل الأراضي التي اقترحتها الأمم المتحدة للدولة اليهودية، عندما تم إحصاء السكان البدو، شكل الفلسطينيون أغلبية وكانوا يمتلكون أراضي أكثر من اليهود.

بمعنى آخر، لم يملك الصهاينة أي حق شرعي بالسيادة على الأراضي حتى التي حصلوا عليها في نهاية المطاف بواسطة الحرب. وغني عن القول إن الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب محظور بموجب القانون الدولي. وبعد التأسيس بواسطة العنف استولى الصهاينة على معظم أراضي دولتهم من خلال التطهير العرقي لمعظم السكان

ذكرى سلخ لواء الإسكندرون

لواء الإسكندرون لا "إقليم هاتاي"

بقلم الأمين لبيب ناصيف



وقضيتها" ذلك أن سعادته لم يكتف بأن أعلن يوم 14 كانون أول يوم الحدود الشمالية، بل هو بادر منذ اليوم الأول لبدء التنفيذ العملي لسلخ لواء الإسكندرون عن جسم سورية، الى وضع المذكرات وتسطير المقالات والتحرك في أكثر من اتجاه بالرغم من أن سعادته كان، في عامي 1936 – 1937 أي في الفترة التي تم فيها سلخ اللواء، في حرب مع الدولة الفرنسية المنتدبة وأدواتها المحليين، فما ان يخرج من السجن حتى يعود إليه، وفي الوقت أيضاً كان عليه ان يولي الخطر الصهيوني في الجنوب السوري الكثير من اهتمامه، ويوجه القوميون الاجتماعيين الى التصدي بكل قواهم لهذه الغزوة الاستيطانية الشرسة.

شريط المؤامرة لسلخ لواء الإسكندرون:

كانت تركيا، الدولة التي تأسست بعد معاهدة الصلح عام 1920 بين الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الأولى والدولة العثمانية المنهزمة فيها مع الدول الأخرى التي عُرفت بدول المحور، قد تنازلت عن الإسكندرون وأنطاكية. لكن مصطفى كمال (أتاتورك) رفض في العام 1921 ما سمي بمعاهدة "سيفر"، وأعلن ميثاق المجلس الوطني الكبير الذي طلب بموجبه إعادة تكوين تركيا من جميع أجزاء الإمبراطورية العثمانية التي تقطن فيها غالبية تركية.

قبل ذلك كانت الشام قد وُضعت (كما لبنان) تحت الانتداب الفرنسي، بموجب قرار مجلس الحلفاء الأعلى الصادر في "سان ريمو" في 21 نيسان 1921. وقد أقرّ مجلس عصبة الأمم عند اجتماعه في لندن في 24 تموز 1924، هذا الانتداب.

في أواخر العام 1922 عقد مؤتمر دولي في "لوزان" ضم الدول الغربية الحليفة، بالإضافة الى اليونان وتركيا، وقد انتهى بتوقيع معاهدة لوزان في تموز 1922 التي كرست انتصار تركيا في حربها مع اليونان، وإلغاء معاهدة "سيفر" التي اعتبرتها تركيا مجحفة بحقها.

عام 1921 وقعت فرنسا وتركيا معاهدة أنقرة وهي اتفاقية تفاهم بين فرنسا وتركيا تضمنت اعتراف كل من الحكومتين الفرنسية والتركية بحق أهالي لواء الإسكندرون في اختيار الحكومة التي تقوم بإدارة شؤون اللواء. لم يرد في هذه المعاهدة أي اعتراض على هوية اللواء السورية، أو أي إشارة الى ضمه مستقبلاً الى تركيا. من هنا كانت بداية الخديعة الفرنسية – التركية بفصل الإسكندرون عن الوطن السوري الأم.

موضوع الإسكندرون والحدود الشمالية من سورية، يستحق دراسات خاصة به، تروى فيها، الى أوضاع تركيا بعد معاهدتي "سيفر" و"لوزان" اللتين أعقبتا انتهاء الحرب الكونية الأولى، وصعود نجم مصطفى كمال أتاتورك، أوضاع سورية المفككة بعامل الفتوحات الخارجية الكبرى وإخضاع البلاد السورية لسيادات خارجية جعلت أبناءها يفقدون هويتهم القومية لحساب عصبية جزئية تتنافى مع العصبية القومية الواحدة، ثم جاءت اتفاقية سايكس – بيكو لتفسيح أكثر للمؤامرة بأن توجد موطئ قدم لها في فلسطين مستهدفة تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا. فهذه مرحلة هامة جداً من مراحل تاريخ امتنا الحديث يتوجب درسها بكثير من الدقة والعناية.



سنعرض في هذه الإضاءة التعريفية الموجزة شريط المؤامرة التي حيكّت لسلخ لواء الإسكندرون وقد استندنا الى كتاب "قضايا خاسرة" للصحافي والكاتب رياض نجيب الريس وسنتحدث عن كيف تعاطى سعادته والحزب السوري القومي الاجتماعي إزاء هذه المسألة، فهذا أمر غير معروف كثيراً لمتتبعي الحزب السوري القومي الاجتماعي كما للعديد من أعضائه الذين أولوا اهتمامهم أكثر للمسألة الفلسطينية، وهذا شأن طبيعي لأنها بقيت حيّة ومشعّة في وجدانهم، وستستمر الى أن يؤتى لأمتنا أن تنتصر على الغزوة الاستيطانية.

في كتابه "قضايا خاسرة" يعترف المؤلف الأستاذ رياض نجيب الريس بالقول "كان موقف الحزب السوري القومي الاجتماعي وزعيمه أبرز المواقف وأكثرها وطنية بالنسبة إلى الإسكندرون"

الشام بل يتناول سورية جغرافية كلها". ثم يضيف في مكان آخر: "إن الأمة السورية لا تريد أن تختنق بين الضغط التركي والضغط الصهيوني".

وفي شهر كانون الثاني أيضاً وجه سعادته مذكرة إلى الحكومة الشامية لفت فيها إلى "أن إزالة السيادة السورية عن لواء الإسكندرون ووضعها تحت تقلبات السياسة والحزبية الأجنبية يكون خسارة كبيرة للأمة السورية وإجحافاً بحقوقها وخطراً على كيانها وحياتها".

ويعلن سعادته أسف الحزب "للموقف الذي وقفته الحكومة السورية من المناورة التركية التي انتهت بتكليل جهودها بالاتفاق الفرنسي - التركي على نزع السيادة السورية بالفعل والاحتفاظ بستانر اسمي يبيقي لواء الإسكندرون ضمن الحدود السورية" معلناً استعداد الحزب السوري القومي الاجتماعي "للتأييد الحكومة السورية في أي موقف جريء لحفظ حقوق الأمة وسلامة الوطن ويطلب منها أن تقف في جانب قضية الأمة ويحملها مسؤولية خسارة قوية تقع بالوطن وسلامة حدوده".

أعقبت المذكرة التي قدمها الحزب إلى الحكومة الشامية دعوة القوميين الاجتماعيين في دمشق إلى تنظيم مظاهرة انطلقت من منطقة المهاجرين وانتهت في شارع بغداد "وكما ظهرت فجأة تفرقت فجأة" كما يوضح الرفيق حسن جمال (من رفقاء الأوائل في دمشق، منح رتبة الأمانة وانتخب لعضوية المجلس الأعلى) ويفيد أن المظاهرة كانت "برئاسة المسؤول المركزي مأمون أياس يعاونه المدرب عارف الرشاش" وكان بعض الرفقاء معينين للمراقبة، أمثال حسن جمال، رفعت شوقي وشقيقه مظهر وفي قيادة المظاهرة الرفيق المحامي عبد الحكيم مراد.

وعنها يشير سعادته في رسالته من الأرجنتين في أول تموز 1939 إذ يقول: أذكركم بيوم دمشق حين وقفت صفوفكم أمام الجامع الأموي وحاولت بعض العناصر الاعتداء على بعض الرفقاء الذي كانوا في الداخل، فكفت جريدتان أو ثلاث جرائد منكم للسيطرة على الموقف والاقتصاص من المعتدين.

وفي رسالته تلك يشير سعادته أيضاً إلى أنه اجتمع بنفسه برئيس الوزارة الشامية جميل مردم (تمّ ذلك صيف العام 1937 في بلدة صوفر - لبنان) ويعد أن يعرض لسياسة رجال الكتلة الوطنية وحكومتها في الشام، ولموقف فرنسا التي رفضت يديها من كل معاهدة مع سورية وساومت تركيا مساهمة نهائية على لواء الإسكندرون وغيره من الأراضي السورية وقدمت ذلك اللواء الغالي ثمن محالفتها تركيا، يعلن سعادته "إن الاتفاقية التي سلمت بموجبها لواء الإسكندرون إلى تركيا هي إتفاقية باطلة، وتكون خيانة لعهد الجمعية الأممية وتعدياً على أرض الوطن وعلى حقوق الأمة السورية الصريحة".

ومن جملة اهتمامات سعادته أنه انتدب وفداً حزبياً لزيارة لواء الإسكندرون للاطلاع ميدانياً على الوضع هناك، وتآلف من الرفقاء جورج عبد المسيح، صلاح شيشكلي، خالد أديب، جورج حداد وإميل دباس.

التنازلات الفرنسية سبقت تسليم اللواء بحوالي السنتين، وسبقت وقوع الحرب العالمية الثانية. لقد سعت فرنسا إلى كسب صداقة تركيا وتوفير موقع متقدّم لها في جمهورية أتاتورك الفتية العلمانية الحديثة، الممتدة بين قارتي آسيا وأوروبا، والمشرقة على البحار الثلاث: الأبيض المتوسط، الأسود وإيجيه.

عام 1938، بعد موت أتاتورك وتولي رفيقه عصمت إينونو الحكم، احتلت تركيا اللواء، ثم أجريت انتخابات في اللواء تحت رعاية دولية قامت فرنسا وتركيا بتزويدها، بحيث نجح الأتراك فيها بغالبية في المجلس التشريعي للواء. وتبع ذلك توقيع فرنسا وتركيا لاتفاق في 23 حزيران 1939 ادخل بموجبه لواء الإسكندرون في الأراضي التركية، واستبدلت تركيا اسم لواء الإسكندرون باسم "هاتاي" وأصبح اللواء منذ ذلك الحين يعرف رسمياً في تركيا باسم "هاتاي". من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي، نقرأ المحطات التالية: في 14 كانون الأول 1936 وجه سعادته إلى "عصبة الأمم" وإلى دول صديقة المذكرة التالية:

إن الحزب السوري القومي الاجتماعي يعدُّ كل عمل يقصد منه بتر لواء الإسكندرون عن جسم سورية، أو وضع حدود لسيادة الأمة السورية على هذا اللواء خرقاً لحرمة سيادة الأمة السورية وللمادة الثانية والعشرين من عهد الجمعية الأممية ولكمال الأرض السورية. إن الحزب السوري القومي الاجتماعي يحتج بشدة على المناورة التركية الرامية إلى فصل قسم من الأرض السورية عن الوطن السوري بحجة أن في جزء من الأرض السورية عدداً قليلاً من الأتراك.

إن الحزب السوري القومي الاجتماعي يطلب من الجمعية الأممية وخصوصاً الأمم المتمتدة والصديقة أن تؤيد الإثباتات السورية، وأن لا تعطي حلاً شاذاً لمسألة لواء الإسكندرون يشجع على إيجاد حال محرجة في الشرق الأدنى تتحول عاجلاً أو آجلاً إلى مصدر نزاع.

ثم كلف سعادته رئيس المكتب السياسي في الحزب الاتصال بالغرفة السياسية في المفوضية الفرنسية وإبلاغها وجهة نظر الحزب.

في 8 كانون الثاني 1937 وجّه زعيم الحزب مذكرة إلى المفوض السامي الفرنسي في لبنان والشام جاء فيها: "لنا الشرف ان نضع تحت تصرف جيش الدفاع العدد اللازم من المتطوعين من أعضاء حزبنا للمساعدة على الاحتفاظ بالسنجق السوري".

على أثر الاتفاق الذي تمّ بين فرنسا وتركيا على منح الإسكندرون وأنطاكية استقلالاً إدارياً في ظل حماية فرنسية - تركية مشتركة، نشر سعادته في جريدة "الشرق" بتاريخ 29 كانون الثاني 1937 مقالاً جاء فيه:

"إن الاحتفاظ بحق الدفاع عن لواء الإسكندرون للقوات التركية والفرنسية يعتبر تمهيداً عملياً لتهديد استقلال سورية وخسارة كبيرة لمصالح الأمة السورية. إن فقد السيطرة السورية على لواء الإسكندرون، خسارة لا تتحصر في دولة الشام، بل تشمل لبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق، لأنها فقد بقعة خصبة وموقع هام للتجارة والأعمال الحربية، وتهيئداً لا يقتصر على كيان دولة

في مجلده "من الجعبة" يقول مؤلفه الأمين جبران جريج انه كان للحزب مفوضيتان ناشتتان في الإسكندرون وأنطاكية، ويوضح:

"اقتصر النشاط الحزبي مع قلة الإمكانيات والطاقات البشرية على رفق مركز الحزب بالمعلومات الصحيحة عن النشاط التركي الذي ما كان ليهدأ أو يكل حتى الوصول على الحشود العسكرية على الحدود استعداداً للاستيلاء على اللواء إذا باءت المفاوضات بالفشل. على كل حال كان صوت النهضة السورية القومية الاجتماعية مسموعاً عالياً في الإسكندرون وأنطاكية بواسطة جريدة "النهضة" التي كان متعهدا الرفيق بطرس المدني ويضاف إليها صوت القوميين الاجتماعيين الذي كان يرتفع عالياً في جميع أنحاء الوطن السوري والذي كانت تصل أصداؤه الى أهالي اللواء فيزدادون قوة وصموداً بالرغم من الاستسلام المخزي من قبل حكومة دمشق الكتلوية."

حفلت جريدتا الحزب "النهضة" أولاً التي صدرت عام 1937 في الوطن، ثم "سورية الجديدة" التي صدرت لاحقاً في سان بولو –

البرازيل، بالعديد من المقالات لسعاده حول موضوع لواء الإسكندرون، منها مقاله في "سورية الجديدة" بتاريخ 15 تموز 1939 – بعد أن كانت عقدت فرنسا وتركيا في 23 حزيران اتفاقاً أخيراً تقرر فيه نقل السيادة على الإسكندرون الى تركيا – وفيه يقول سعاده: "إننا لا نريد أن نبكي الآن كثيراً على الماضي مع انه يستحق البكاء عليه بدل الدموع دماً! ولكننا لكي نستفيد من عظاته وعبره نريد أن نقول إن النهضة السورية القومية يجب ان تفهم جيداً. وان الشعب السوري يجب أن يزيح الغشاوات التي وضعها النفعيون والمنافقون في الوطنية والمؤسسات العتيقة المتحجرة على عينيه ويبصر خلاصه في انتصار الحركة السورية القومية الاجتماعية التي تقيم الوحدة القومية على أساس متين من العدل الاجتماعي-الاقتصادي وتزيل بعقيدتها القومية الواضحة، كل خطر على روحية الأمة من الميعان والانحلال.

صوت سعاده

نداء إلى الأمة السورية – سورية الجديدة 15 تموز 1939

إنّ الاتفاقية التي سلّمت فرنسا بموجبها لواء الإسكندرون إلى تركيا، هي اتفاقية باطلة وتكون خيانة لعهد الجمعية الأممية وتعدّياً على أرض الوطن وعلى حقوق الأمة السورية الصريحة. وإنّ مشروع التجزئة الجديد هو مشروع استعمار مطلق لا يقبله الشعب السوري الحر.



وباسمكم أعلن أنّ وعد بلفور هو تعدّ على حقوق الأمة السورية الصريحة. وإنّ جلب اليهود إلى بلادنا، تحت حماية قوانين فرضت علينا بالقوة، لا يعطي أية سلطة في العالم حق مساواة اليهود بالشعب السوري في حقوق سيادته القومية. وإنه لا بريطانية ولا غيرها من الأمم تملك حق تعديل الحقوق السورية القومية أو حق تقرير مصير أي جزء من الوطن السوري.

وإليك أقوال: إنّ دور الشركات السياسية الذي كان لعباً بمصير الأمة والوطن خطراً، قد انتهى وجاء دور عمل السوريين القوميين لتعطيل المساومات والتسويات والاتفاقيات المجرمة ولإنقاذ الأمة والوطن من تلاعب الإيرادات الأجنبية.

أيها السوريون القوميون،

منذ هذه الساعة بيتدي عملكم العظيم!

إنّ سياسة الصبر والاحتمال قد انتهت فكونوا في أماكنكم مستعدين!

أيها الشعب السوري،

أيها الشعب الحي،

إنّ الحزب السوري القومي قد جاءك بالعقيدة التي تعبّر عن وجدانك القومي وتظهر شخصيتك وتقويها، وتوحد مصالحك تجاه المصالح الأجنبية وتوسعها، وتثبت مركزك في العالم فتفتح لك مجال الصناعة العظيم الذي يتسع له وطننا، وتنمي مواردك الزراعية التي تكفي وحدها لنحو عشرين مليوناً من أبنائك يعيشون برفاه وتحميها، وتدعم تجارتك بقوة الدولة القومية المؤسسة عليها، وتؤسس مجتمعك تأسيساً جديداً متيناً على دعائم مبادئها الاجتماعية والاقتصادية التي تقيم العدل الاجتماعي - الاقتصادي، وتقضي على عوامل التهديم الاقتصادي والتفكيك الاجتماعي، وتقيمك أمة حية، متجانسة قوية، منيعة. ولكن النفعيين الذين باعوا منافعهم الخصوصية بمصالحك، كرهوا مجيء الحزب السوري القومي وتأسيسه للمصلحة القومية على قواعد صحيحة لا تسمح بالتلاعب ولا باستمرار قيام المنافع الفردية على حساب مصلحة الشعب. فأسرعوا إلى محاربتهم وإلى التمسك بعناصر الحالة الراهنة المخزية وهي عناصر التعصب الديني الذي فرق صفوف الأمة وجزأ وحدتها. وغدّوا هذه العناصر المؤذية بروح النفاق الذي اشتروا به"

إرميا التوراتي لم يكن أول من رثى المدن المنكوبة

مراثي المدن السومرية وضعت أساس فن شعري مستمر

توما توما

هذا الشعب هم السومريون الذين استوطنوا الجزء الجنوبي من بلاد ما بين النهرين في الألف الرابع ق.م. وأنتجوا حضارة رائعة تركت بصماتها الثقافية في جميع أرجاء العالم القديم. وحتى بعد أن انتهوا كقوة سياسية بفعل الغزوات الآتية من الشرق والغرب، إلا أن إنجازاتهم الحضارية استمرت فاعلة في الإمبراطوريات الأكادية والبابلية والآشورية والآرامية التي أتت بعدهم.



1 صموئيل نوح كريمير (1897-1990)

وفي الخمسينات من القرن الماضي، كان الباحث الأميركي صموئيل نوح كريمير (أبو علم السومريات في العالم) يعكف على تحقيق وترجمة ونشر مئات الألواح الطينية الحاملة لعطاءات السومريين والمكتوبة بالأحرف المسمارية.

وفي إطار عمله الدؤوب عثر على مجموعة من الألواح التي تبين - بعد ترجمتها - أنها عبارة عن قصيدة عاطفية حزينة تراثي المدن السومرية التي دُمّرت على أيدي البرابرة الغوتيين الزاحفين من مناطق الشرق.

وخلال سنوات من البحث ودراسة النقوش المسمارية، تجمّع عدد كبير من المراثيات المتعلقة بالمدن السومرية. وأقدم نص وصلنا حتى الآن وُجد مدوناً على لوح عُثر عليه في مدينة لغش، ويصف الدمار الذي أصيبت به المدينة على يد جارتها اللدودة مدينة أوما، وذلك بحدود العام 1950 ق.م. إلا أن هذا النص، على أهميته الريادية، لا يبرز القيم الشعرية الراقية التي تحملها نصوص أخرى رثت المدن السومرية بعد قرنين من الزمن على دمار لغش.

أطلق بعض العلماء أسماء شتى على قصائد الرثاء التي عُثر عليها خلال أعمال التنقيب والتحقيق والترجمة. وركزوا على كلمة "النواح"

لا يخلو أدب في العالم من فن الرثاء، فالحزن المتولد عن فقد قريب أو صديق أو حبيب يفجر في النفس الحساسة مشاعر صاخبة لا تجد منفذاً لها إلا في التعبير الخارجي. البكاء تعبير، والندب تعبير، والصمت المنكسر تعبير... لكن أبلغ تعبير هو ذلك الذي يصوغه المبدع شعراً وأدباً خالدين على مدى الأيام.

المصيبة الفردية بوفاة أحد الأشخاص قد تكون مشتركة بين عدد محدود من الناس. والعزاء في مثل تلك الحال يكمن في أن "الأعمار بيد الله". لكن عندما تحل المصيبة بمدينة كاملة، فالمسألة تتجاوز الخاص إلى العام، ويصبح الحزن بعضاً من الإحباط الوطني الشامل المتمثل بدمار مسقط الرأس ورمز الهوية وعنوان الذات العامة. وبما أن "وفاة" المدن - إذا صح التعبير - لا تكون في العادة نتيجة عوامل الشيوخة أو المرض، بل بفعل الغزو البربري الهمجي، فإن الحزن عندها يكون الوجه الآخر للإذلال الوطني.

كان يُعتقد حتى الخمسينات من القرن التاسع عشر أن مراثي إرميا الواردة في التوراة اليهودية هي أقدم مراثي المدن في التاريخ البشري، وقد قيلت "حزناً" على المصائب التي حلت باليهود خلال القرون الخمسة التي سبقت ميلاد المسيح. وكثيراً ما أحلّ الأدياء والنقاد الغربيون هذه المراثي مكانة مرموقة في الأدب العالمية التي تركت بصماتها على مسيرة الثقافة البشرية في السنوات الألفين الماضية. ومثال من هذه المراثي: "يا ليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي"، و"أحشائي... أحشائي، توجعني جدران قلبي. يئن في قلبي. لا أستطيع السكوت. لأنك سمعت يا نفسي صوت البوق وهتاف الحرب" ... إلخ.

ظل هذا الاعتقاد سائداً حتى منتصف القرن التاسع عشر، كما قلنا. وتأثر بالمراثي كثير من الأديباء في العالم العربي، خصوصاً أولئك الذين درسوا في مدارس الإرساليات الأجنبية و"تنقفوا" بمرويات التوراة والأساطير العبرية التي كانت تُدرّس جنباً إلى جنب المرويات الإنجيلية. وفجأة اكتشف العالم حضارة كانت ضائعة، صنعها شعب ظل مجهولاً إلى أن قُبِض له علماء أجلاء نفصوا الغبار عن تاريخه وأعادوه إلى مكانته الطبيعية في صدارة الحضارة البشرية.

"إن مدينتك التي حوّلت إلى خرائب أنت لم تعودى سيدتها.
 "وبيتك بيت العدل الذي سلم للمعول، لا تسكنين اليوم فيه.
 "وشعبك الذي اقتنيد للذبح، أنت لم تعودى ملكة له.
 "ودموعك صارت دموعاً غريبة وأرضك لا تنتحب.
 "إن أرضك كأرض تجزأت... أغلقت فمها بإحكام،
 "وحولت مدينتك إلى أنقاض، فكيف تقدرين على النقاء؟
 "وأنرك بيتك مقفراً، فكيف أبقى عليك قلبك؟
 "إن أغنيك قد استحالت إلى بكاء...
 "وتحولت الـ (تبجي) وهي موسيقاك إلى نحيب.
 "أيا مليكتي، مدينتك تنتحب بين يديك كأنك أم لها،
 "وأور، كطفل في شارع خرب، تبحث عنك،
 "البيت، كرجل فقد كل شيء، يمد يديه إليك".

وأظهرت الدراسات التي أجريت في الربع الأخير من القرن الماضي أن فن مرثي المدن في بلاد ما بين النهرين ظل منتشرًا حتى القرون الميلادية الأولى في ظل تعاقب الدول البابلية والآشورية فالبابلية الحديثة ومن ثم الفارسية واليونانية والسلوقية. ويشير العدد الكبير من النسخ التي عثر عليها المنقبون إلى أن المرثيات تحوّلت في أزمان لاحقة إلى طقس ديني تقليدي يمارس عند تجديد المعابد أو هدم القديم منها تمهيداً لبناء الجديد.

ولا شك في أن اليهود المسيبيين إلى بابل في القرن الخامس قبل الميلاد تعرفوا إلى هذه الطقوس المنتشرة على صعيد واسع، وتأثروا بها تماماً كما استوحوا من الأساطير السومرية والكلدانية والكنعانية الكثير الكثير مما تكشف عنه الدراسات الحديثة. ومن الطبيعي أن تكشف الأيام المقبلة، طالما أن أطلال المدن السورية القديمة ما تزال في باطن الأرض، عن جوانب جديدة من أوجه التأثير التوراتي بالحضارات السورية القديمة... خصوصاً إذا علمنا أن ما حُقق وتُرجم ونُشر من الألواح المسمارية لا يشكل سوى جزء بسيط جداً من ملايين الألواح الطينية المخزونة في متاحف العالم.

كمرادف للبكاء على المدن المدمرة، مثل "نوح على أور" و"نوح على سومر"... إلخ. إلا أننا نفضل استخدام كلمة "مرثية" بدلاً من "نوح" لأن معظم القصائد كتب في مرحلة لاحقة على دمار المدينة، أي أن النوح والندب والبكاء انتهت وظل "الشاعر" مع حزنه وذكرياته... فجاءت قصائده مرثيات لمجد مضيع ووطن مدمر.



2 مرثية مدينة أور

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المرثيات كان يحمل عنواناً خاصاً مثل مرثية مدينة نيبور التي تسمى "آه أيها البحر الغاضب".

ومن النماذج الشعرية الرائعة التي خلفها السومريون "مرثية مدينة أور" التي قيلت

بعد غزو العيلاميين المدينة وأسر ملكها وتدمير معالمها الحضارية. والنص العربي الذي نورد أجزاء منه، مأخوذ من كتاب كريم "السومريون" الذي عرّبه الدكتور فيصل الوائلي في العام 1973، وهنا النماذج:

"أيتها الملكة، كيف أبقى عليك قلبك، كيف تقدرين على البقاء حية!

"ننجال"، كيف أبقى عليك قلبك، كيف تقدرين على البقاء حية!

"أيتها المرأة العادلة التي هدمت مدينتها، كيف تقدرين على البقاء حية!

"وبعد أن دُمّرت مدينتك، كيف تقدرين الآن على البقاء!

"وبعد أن دُمّر بيتك، كيف أبقى عليك قلبك؟

"إن مدينتك أصبحت مدينة غريبة، فكيف تقدرين على البقاء؟

"وأصبح بيتك بيتاً للدموع، فكيف أبقى عليك قلبك؟

قراءة كتاب: الصراع الفكري في الأدب السوري

بقلم الأمين الدكتور حيدر حاج إسماعيل*



من وجهة الفن الخالد". ويختم كلامه بقوله: "وأنا من هواة الشعر الخالد، الذي لا يرتبط بالأزمة".

وتجدر الملاحظة، أن الرسائل الثلاث التي نُشرت عام 1935، كانت قد كُتبت عام 1926. كما تجدر الملاحظة، أن الريحاني، وعمّ الشاعر، قد اتفقا على توجيه الشاعر، إلى الابتعاد عن شعر البكاء والنواح، مما دفع الشاعر، إلى إضافة حاشية ظهرت في مجلة "العصبة" عام 1935، يعلن فيها إنكاره أسلوب البكاء والشكوى، الذي ظهر في قصيدته "الأحلام"، ولكنه يبرر انتحائه ذلك النحو، برده إلى عامل السن، الذي نظم فيه القصيدة، عندما لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة، وهي سن الفتوة والقلق والحيرة.⁵

ماذا كان تعليق سعادته على الآراء المتقدمة في الشعر والشاعر؟

المآخذ التي يسجلها سعادته على رأي الريحاني، تتلخص في وصفه لكلام الأخير بأنه كلام "غامض ومشوش"، لا تحديد حقيقي فيه ولا وضوح، لأن ما ذكره من أن الشعر "مرآة الجماعات..." ينطبق على الصحفي والفيلسوف والعالم والقائد، وغيرهم من العظماء، الذين كانوا "مصباح الظلمات" و "سيف النكبات"⁶. ثم أن إنكار الريحاني على شفيق المعلوف، نواحه وبكائه وتقيحه أن يجري الشاعر في هذا المجرى، يظل كلاماً لا طائل تحته.

إن الناقد الحقيقي يجب أن يكون كلامه منتجاً دروساً في الخروج بالشعر والشعراء، من عهود التفجع على الأطلال، إلى عهد جديد فيه كل الرجاء والإيمان والارتقاء. وهذا ما لم يفعله الريحاني، فظل كلامه وعظاً لفظياً لا غناء فيه. أما إرشادات عمّ الشاعر، فتمتاز بأنها دعوة إلى النزعة الفردية، عن طريق طلب الشهرة الفردية، وجعلها غاية

في بوانس أيرس عام 1943، يظهر لسعادته كتاب بعنوان: "الصراع الفكري في الأدب السوري"، فيه يعود إلى بحث قضية الأدب عموماً، ومسألة التجديد الأدبي خصوصاً، بحثاً فلسفياً دقيقاً. وقد كانت مناسبة هذا البحث، كما يقول في المقدمة، ما لاحظته من احتكاك وتصادم فكريين "في النظر إلى الشعر وأغراضه، عند إثنين من كبار أدباء ذلك الزمان، بمناسبة تعليقاتهم على ديوان "الأحلام" للشاعر شفيق المعلوف". وقد نشرت آراء هذين الأدبيين، الواردة في رسالتيهما إلى الشاعر، مع تعليق للشاعر في مجلة "العصبة" التي كانت تصدر في سان باولو، وذلك في عدد شباط 1935.¹

وكان أهم ما ورد في رأي الريحاني، وصفه للشاعر الحقيقي، بأنه "مرآة الجماعات ومصباح في الظلمات، وعون في الملمات، وسيف في النكبات. الشاعر الحقيقي يشيد للأمام قصوراً في الحب، والحكمة، والجمال، والأمل".²

أما عمّ الشاعر، السيد يوسف نعمان معلوف، فقد حرص في الدرجة الأولى، على تعليم ابن أخيه، وإرشاده في مثل قوله: "اعتن في مؤلفاتك المقبلة، أن تكون مبتكراً فيما تنزع إليه سواء أكان بالفكر أو بالعمل، وأن تكون مُقلِّداً لا مُقلِّداً، في سائر أعمالك، لأن على هذه القاعدة الأساسية، تتوقف شهرة المرء في الحياة، وقبل كل شيء، أترك الخيال الذي لا روح فيه ولا حقيقة".³

في تعليقه على رسالة عمه، يقول الشاعر شفيق المعلوف، محدداً الشعر بما يلي: "فهو في عرفي، ذلك الشعور النابض، يصور للناس نفوس الناس، ولا تتعدى فاندته، في أحيان كثيرة منفعه يصيبها المرء، لدى سماع مقطوعة موسيقية جميلة، مطربة كانت أم مشجية".⁴ ثم يضيف قائلاً: "وقد أكون على خطأ، في الوجه العملي النافع، ولكنني على حق،



4 المرجع السابق صفحة 12.
5 المرجع السابق صفحة 12.
6 المرجع السابق صفحة 15-17.

1 أنطون سعادته، الآثار الكاملة، الجزء 1 (أدب)، بيروت 1960، صفحة 9.
2 المرجع السابق صفحة 10.
3 المرجع السابق صفحة 11.

الفكر والمسعى، "كأن أهم شيء في طبيعة الفكر والعمل، أن يكون المرء غير تابع غيره، وأن يكون متبوعاً".⁷

ويرى سعاد، أن حالة التشويش والتخبط في فهم القضية الأدبية عموماً، والشعر خصوصاً، لا تقتصر على الأدباء السوريين الثلاثة المذكورين آنفاً، بل هي حالة تشمل أكبر الأدباء السوريين اللامعين في العالم العربي. وهنا يقدم لنا نموذجاً، هو أحد كبار أدباء مصر، الدكتور محمد حسنين هيكل بك، الذي كتب في "الهلال" عام 1933، عدد حزيران، كلاماً يقول فيه:

"إني أفهم أن يكون التجديد، هو أن يشعر الشاعر، أو الكاتب، بشعور العصر الذي هو فيه، ويعبر عن ذلك تعبيراً صادقاً، ممثلاً لصفات ذلك العصر، الذي وضع فيه هذا التعبير".⁸

ثم يحاول أن يحدد الصفات الخاصة، التي على الشاعر إبرازها، فيقول بأنها:

"كل ما يقع تحت الشعور، بحكم البيئة والتعبير، تعبيراً صادقاً عن الحياة التي تحيط بهذه البيئة، الظروف التي تلابسها، وتجعل لها صبغة خاصة، بحيث يُعد الخروج عن هذه الصبغة، خروجاً عن تلك البيئة".⁹

هذا مثل آخر عن حالة الفوضى السائدة في عالم الأدب. فالنظر في القضية الأدبية، والتجديد الأدبي، يجري كلاماً في كلام، فما هو الشعور بحكم البيئة، وكيف تكون؟ وما هي الحياة التي تحيط بهذه البيئة، وكيف تكون؟ وما هي الظروف التي تلابسها؟ وغيرها من الأسئلة التي يثيرها الدكتور هيكل، في وجه من يقرأ كتابته الغامضة، المشوشة، المضطربة".¹⁰

الحق، أن سعاد كان يعجبه أدب الأدباء، وشعر الشعراء، من الناحية الفنية. كل نقده كان منصباً على التقليد، وعدم الإبداع، وعلى الأدب الدليل، الذي يضرّ بنفسية الناشئة في المجتمع.

إليك كلام سعاد نفسه في هذا الصدد، يقول وهو في مجرى نقده لأحد مقالات السيد زكي قنصل، ما يلي:

"إن الحزب السوري القومي، لا يريد إلغاء أنواع الفن الأدبي، ولا يريد أن يصبّ الأدب في قالب فني واحد. ولكنه يهتم بالدرجة الأولى، بالأفكار التي يتناولها الأدب، وتكون ذات صفة أساسية، أو فلسفية عامة، تؤثر في نفسية المجتمع".¹¹

التجديد في الأدب:

لنتحوّل الآن إلى شرح نظرية سعاد نفسه، في الأدب وفي التجديد الأدبي. يعرّف سعاد الأدب، قبل كل شيء، فيقول: "إنّ الأدب، نثره ونظمه، هو صناعة، يُقصد منها إبراز الفكر والشعور، بأكثر ما يكون

من الدقة، وأسمى ما يكون من الجمال".¹² يُفهم من ذلك أن الأدب، ليس الفكر بالذات، وليس الشعور بالذات، بل هو معتمد عليهما. معنى ذلك أن الأدب، لا يمكنه أن يُحدث تجديدًا من تلقاء نفسه. ومعناه أن التجديد الأدبي، ليس قضية أدبية بحت. ومعنى ذلك، أن التجديد في الأدب، يتبع التجديد في الفكر والشعور، كما تتبّع النتيجة علّتها. ولكن التجديد في الفكر والشعور غير ممكن دون حصول نظرة جديدة إلى الحياة. أو كما يحب سعاد أن يقول: "الأدب هو حصول ثورة روحية مادية، اجتماعية سياسية، تُغيّر حياة شعب بأسره، وأوضاع حياته، وتفتح طريقاً جديدة للفكر وطرائقه، والشعور ومناحيه".¹³ وكما أن التجديد الأدبي، ليس قضية أدبية بحت، فهو ليس قضية مؤرخي الأدب، فالأحداث يراها سعاد نتيجة لابتداء تُغيّر النظرة إلى الحياة في شعب، أي نتيجة لحصول معتقدات جديدة ومثل عليا روحية - مادية جديدة، وليس سبباً في التجديد الأدبي".¹⁴

وبكلمة أخرى نقول، إن الأدب والسياسة يتجددان بتجدد الإنسان. فما دام الإنسان قديماً في عقليته، رجعيًا في نظرتة إلى الحياة، ظل الأدب والسياسة رجعيين، وعندما يتكوّن إنسان جديد على مبادئ وتعاليم حياتية جديدة، يبدأ في الأدب والسياسة عهد جديد، على طراز المجتمع الإنساني الجديد. على هذا الأساس الفلسفي العميق، لا يعود التجديد الأدبي، كلاماً في التجديد الأدبي، هو الهفت بعينه، بل تصبح القضية، دعوة إلى جميع الأدباء، ناثريهم وناظميهم، إلى نبذ عقلية العهود الرجعية الانحطاطية، وبناء نفوسهم في مطلب حياة جديدة، ومثلّ عليا، تتفق مع متطلبات النهوض الحقيقي والتقدم الحقيقي.

إن القاعدة الفلسفية العميقة، التي وضعها سعاد، لحصول التجديد في الأدب، لم يبقها مجرد نظرية، بل إنه أجاب على السؤال الخطير، الذي يحوّل هذه القاعدة النظرية إلى واقع ملموس، أعني، كيف يمكن تغيير الحياة السورية؟ وكان جوابه ماثلاً في إنشائه الحزب السوري القومي الاجتماعي، على قاعدة نظرة جديدة للحياة الإنسانية، تعتبر الأمة مجتمعاً واحداً، وتعتبر أساس التقدم والارتقاء، أساساً مادياً - روحياً.

في النهضة القومية الاجتماعية، تُغيّر الإنسان وتجدد، وفيها وحدها، صار التجديد الأدبي والسياسي، حقيقة حياة ظاهرة في إنتاج القوميين الاجتماعيين الأدبي، وفي مهماتهم الاجتماعية.

نعود الآن إلى تجديد سعاد للأدب، لنفهم منه شيئاً جديداً، هو أن مهمة الأديب والأدب إبراز الفكر والشعور، في صورة الجمال، أو نقول أن مهمة الأديب هو التجميل، لأن الجمال، وفقاً لفلسفة سعاد الصراعية النهضوية، ليس شيئاً ستاتيكيًا، إنما الجمال هو التجميل، مثلما الحق هو التحقيق، والخير نشر الخير ليعمّ الأمة.

¹² المرجع السابق صفحة 29.

¹³ المرجع السابق صفحة 28-29.

¹⁴ المرجع السابق صفحة 29-30.

⁷ المرجع السابق صفحة 16.

⁸ المرجع السابق صفحة 18.

⁹ المرجع السابق صفحة 18.

¹⁰ المرجع السابق صفحة 19.

¹¹ المرجع السابق صفحة 204-205 من مقال: "الشهرة على حساب الحزب السوري القومي".

جديد تعبيرى، يريد النهوض للشعب كله، ويطلب العز للأمة والفلاح والتقدم. وقد دعا سعادته أكثر من مرة، أدباء سوریه، إلى فلسفة الأدب الجديد، القومية الاجتماعية، ليكتشفوا فيها نفوسهم التواقفة إلى الإبداع والمثل العليا، لعالم إنساني جديد، فيه كل أسباب القوة والتقدم والجمال والسعادة، والدعوة ما زالت قائمة.

* الأمين حيدر حاج إسماعيل، عُرف في معظم كتاباته باسم "عبود عبود".

نشأ في كنف أسرة سورية، الأب فيها من الجولان والأم من فلسطين. درّس في منطقة «الوادي» والقامشلي الشاميين، إضافة إلى عمّان وإربد الأردنيتين.

نال الإجازة في الفلسفة من جامعة دمشق، ثم أكمل الماجستير في الجامعة الأميركية - بيروت خلال تدريسه للفلسفة والفيزياء في بعض مدارس العاصمة اللبنانية. انتدبه مركز الحزب السوري القومي الاجتماعي إلى أستراليا عام 1972، حيث أكمل الدكتوراه في اختصاص الفلسفة.

كاتب وباحث له العديد من المؤلفات والمقالات في الفكر القومي الاجتماعي. تسلم العديد من المسؤوليات الحزبية وكان عميداً للثقافة والإعلام والإذاعة، كما كان عضواً في المجلس الأعلى.

ومن هنا، نستطيع أن نفهم معنى اعتبار سعادته، كل عضو في الدولة القومية الاجتماعية، عاملاً منتجاً بطريقة من الطرق، ومعنى اعتباره الأمة كلها جيشاً من العمال المنتجين، في بيانه في الأول من أيار 1948، عندما خاطب أمته بقوله: "أيها المنتجون غلّلاً وصناعة وفكراً".

فهناك إذاً، منتجون فكريون منهم العلماء والفلاسفة والأدباء، الذي مهمتهم إبراز الفكر في أجمل الصور المجازية أو الخيالية، وأسمائها وأدقها، وكذلك الشعور والعواطف، دون مفارقة الحقيقة الإنسانية ومثلها العليا".¹⁵

استناداً إلى هذا الاعتبار، يمكننا أن ندرك الآن، أهمية حرب سعادته للرجعيين من الأدباء، لأنه رأى أن إنتاجهم لا يخدم الأمة، بل يغلبها على أمرها، بما يثيرونهم في أدبهم، من النعرات المذهبية والفئوية والخصوصية. لقد كان هؤلاء الأدباء، مجرمي الأمة على صعيد روحيتها، مثلما هم الرأسماليون البرجوازيون، مجرمو الأمة في ميدان حياتها المادية. فالحرب على المجرمين، يجب أن تستمر، حتى يسلموا للأمة، أو تسحقهم أجيال الأمة الصاعدة.

ثمة إذن، أدبان في ساحة الصراع، أدب قديم تمثيلي، من حيث أنه يمثل الجمود والتقليد والغموض والفوضى والذل والشك والانحطاط، وأدب



دمشق